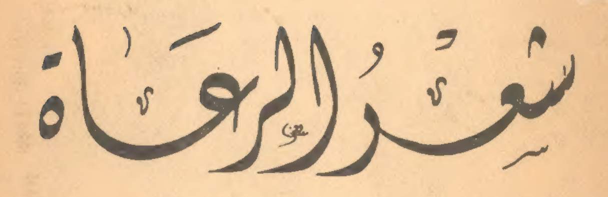


الأدب اليونانى فى عصر الأسكندرية



درسه وترجم نصوصاً منه

دكتور محمد صقر خفاجة

رئيس قسم الدراسات القديمة بجامعة القاهرة

الناشر

دار الكتاب المصرى

٨٢ شارع القصر العينى ت ٢٦٥٨٨



الأدب اليوناني في عصر الإسكندرية



درسه وترجم نصوصاً منه

دكتور محمد صقر خفاجة

رئيس قسم الدراسات القديمة بجامعة القاهرة

الناشر

دار الكاتب المصري

٨٢ شارع القصر العيني ت ٢٦٥٨٨

« إن مصر الحديثة ، التى تريد أن تتبوأ بين دول العالم مكانة
« علمية عالية ، لن تفلح فى اتقان بعض فروع الثقافة إلا إذا عنيت
« بالدراسات اليونانية واللاتينية ؛

« فالأديب والفيلسوف والمؤرخ لا بد لهم من أن يعرفوا هذه
« الثقافة وأن يقرءوها فى الأصول لأن القشور التى يكتفون بقراءتها
« فى الكتب الحديثة لا تفى بالغرض المقصود . »

طه حسين

شكر

أتقدم بجزيل الشكر للصديقين الفاضلين الاستاذة الدكتورة سهير القلماوى والدكتور عبد العزيز الأهوانى لتفضلهما بتلاوة الكتاب قبل طبعه وإبداء كثير من الملاحظات اللغوية القيمة . .

المؤلف

تمهيد

ثيوكريتوس (Theokritos) ، أبو شعر الرعاة ، له مقطوعات رائعة عظيمة ، تقرؤها فيخيل إليك أنك قد انتقلت إلى روضة جميلة يترامى فيها إلى سمعك صوت موسيقى ينبعث من قيثارة الشاعر الذى يطلعك على صورة فاتنة من فنه البديع فيدفعك إلى تلاوته مرة بعد مرة .

لزمته أعواما طويلة أتلوه وأدرسه فما ضقت به بل ازددت له حباً وبه تعلقـا ، وكنت ، كلما شغلنى عنه عمل آخر ، أحس شوقا عجيبـاً إلى قصائده ورغبة ملحة تجذبنى وتلح على فأعود أتصفحه من جديد فيزيد إعجابى به ويدفعنى إلى دراسته دراسة طويلة دقيقة ، وقفت منها على ما غمض من حياته، ونفذت إلى كثير من مواطن السحر والجمال فى شعره ، وعرفت جوانب من عظمته ، وأدركت سبب إجماع النقاد على أنه من أعظم شعراء اليونان وأنه لا يقل عن هوميروش أهمية وفناً .

ولم لا ؟ لقد أثبت أنه عبقرى موهوب ، لم يتمسك بتقاليد عصره ، ولم يتقيد بما اتبعه معاصروه من طرق سقيمة فى التعبير ، بل خلص من القيود التى تحول بينه وبين قلوب الناس ، لم يتعب نفسه فى البحث والتنقيب فى آثار القدماء يتلمسها علة يجد فى فتات موائدهم ما يسـد رمقه ، لم يفعل شيئا من ذلك ، كما فعل غيره ، لأنه كان فى غنى عنه ،

ولكنه اعتمد على عبقريته الفذة فخلق فناً من فنون الشعر لم يعرفه أحد من قبل ، ذلك هو شعر الرعاة الذى بفضله اعتبر ثيوكريتوس ألمع درة تلألأت فى عصر الاسكندرية ، وقف فى شرفة برجه العاجى يطل على الصراع العنيف بين معاصريه دون أن يضطرب معهم فى مشاحناتهم ، بل كان يشاهدها بطبع الفنان الذى يؤثر الراحة والحياة الهادئة بين أحضان الطبيعة بعيدا عن هذا المجتمع الصاخب .

ويجد القارئ فى هذا الكتاب دراسة وتحليلا لشعر الرعاة الذى ابتكره ثيوكريتوس ، وهو فن رقيق يكاد يكون غريبا عن الأدب العربى لأن شعراءنا ، قدماءهم ومحدثيهم ، لم يعرفوه ولم ينظموا قصائد فيه .

وقد بذلت قصارى جهدى فى أن ابتعد عن المسائل المعقدة التى يضيق بها القارىء لعدم إلمامه باللغتين اليونانية واللاتينية . فما كنت لأتعرض لدراسة أوزان شعر الرعاة وتباين البحور وأسباب خروج ناظميه عن القافية فى كثير من الأحيان ، ولم أفصل الأسباب التى دفعت بعض المحدثين إلى الاعتقاد بأن بعض المقطوعات من هذا الشعر ليست من نظم أصحابها ، ولم أتحدث عن سر الإعجاز فى لغة ثيوكريتوس وتفضيله للهجة الدورية واستخدامها فى أناشيده الريفية ؛ لم أقف عند كل هذه المشاكل ولم أتعرض لها لأن ذلك البحث يناسب القارىء المتخصص .

ولقد اكتفيت بتلخيص حياة ثيوكريتوس وبينت مدى تأثر

قصائده ببيئة البلاد التى عاش فيها ، ثم ذكرت أنواع الشعر التى نظم فيها وخصائص كل منها ، وحللت قصائده عن الرعاة ووضحت تأثيره فى شعراء اليونان والرومان الذين قلدوه ، وأنهيت الكتاب بترجمة مختارات من هذا الشعر من نظمه ونظم مقلديه .

وسوف تجد فى هذا الكتاب أيضا تلخيصا مجملا لخصائص عصر هام فى تاريخ الأدب اليونانى هو «عصر الإسكندرية» الذى لعبت فيه مصر دوراً عظيما فى المحافظة على تراث الفكر اليونانى وتنميته . لقد شجعت أدباء اليونان الذين جاءوا إليها بعد زوال مجد أثينا فأقاموا بها واتخذوا منها مقرا لهم وعاصمة لإنتاجهم الضخم فابتكروا فنونا جديدة وشرحوا الأدب القديم وعلقوا عليه وقاموا بحركة علمية واسعة نأمل أن نكون قد وفقنا فى إبراز أهميتها وعرض مزاياها وخصائصها .

الفصل الأول

١ — الإسكندرية : عاصمة الآداب والعلوم

لقد ترك لنا اليونان أدباً رفيعاً ، امتاز بالجمال والبساطة وصدق التعبير ، نبت جله فى أثينا ، مهبط الآداب والعلوم ، التى بقيت قرناً ونصف قرن المركز الأول للثقافة العالية والفنون الجميلة ، احتضنت فطاحل اليونان المفكرين وتولتهم برعايتها وأمدتهم بروحها . فكتبوا وأسهبوا فى كتاباتهم ، وبحثوا وأطالوا أبحاثهم وأرخوا ودققوا فى تاريخهم . ولذلك مازالت تعتبر هذه الفترة الذهبية أغنى عصور الأدب فأغانى بنداروس الخالدة ومسرحيات أيسخولوس العنيفة ومآسى سوفوكليس الرائعة وروايات أريستوفانيس اللاذعة وأشعار يوريبيديس الثائرة وتاريخ هيرودوت وثوكوديديس الشامل وخطب ديموستنيس البليغة — تكون فى مجموعها أدباً خالداً ، سيبقى مثلا حيا لكل العصور المستقبلة ومنهلا عذبا ترتوى منه الفنون والعلوم على السواء .

لكن هذا الازدهار الذى جاد به الزمن لم يدم طويلا ، إذ ساءت حال أثينا بعد موت بريكليس ، وتوالت عليها المصائب فى الداخل وفى الخارج . أما فى الداخل فقد أسلست القياد لشرذمة من مترعى الشعب وقادته الطائشين الذين استطاعوا أن يتملقوا الجماهير

الغافلة ، فأوردوها موارد الهلاك . وأما فى الخارج فقد تتابعت الهزائم على جيوشها ودحرتها اسبرطة فى موقعة « ايجوس پوتاموس » (٤٠٤ ق م[1]) وألحقت بها خسائر فادحة فاحرقت أسطولها وحطمت قوتها البحرية . وما زالت اثينا فى تدهور وانحلال حتى قضى على سيادتها وزال سلطانها باندحارها فى موقعة « خايرونيا » (٣٣٨ ق.م[2]) ، وتبع ذلك أن فقدت مكانتها الأدبية وتخلت عن منزلتها السامية للإسكندرية التى بناها الإسكندر عام ٣٣٢ ق . م .

بنى الإسكندر مدينته العظيمة لتكون عاصمة لامبراطوريته المترامية فى أوروبا وآسيا . ولذلك اختار لها هذا المكان الممتاز الذى جعلها أول مدينة فى العالم وأهم ثغر يطل على قارات ثلاث . يفد إليها الناس من كل مكان ويلتقى فيها التجار من كل قطر ،فنشطت تجارتها وأزدهرت صناعتها ، وأصبحت بفضل البطالمة الأوائل كعبة للعلوم والفنون ومركزاً للآداب . لجأ إليها الأدباء والعلماء الذين ضاقت بهم بلادهم وضاقوا بها ، فتركوها وانتقلوا إلى الإسكندرية واتخذوا منها موطناً جديداً . وما مكنهم من ذلك إلا تشجيع البطالمة الذين لم يدخروا

---

(١) موقعة فاصلة انتصرت فيها إسبرطه على أثينا انتصاراً مبيناً وانتزعت منها زعامة اليونان ، ولقد سميت المعركة باسم المدينة التى وقعت بالقرب منها فى تراقيا.

(٢) دارت رحاها عند مدينة خايرونيا فى بؤوشيا ، إحدى مقاطعات بلاد اليونان ، بين فيليب ، ملك مقدونيا ، من جهة وبين أثينا وحلفائها من جهة أخرى ، وقد منى الآثينيون فى هذه المعركة بخسارة جسيمة .

وسعا فى النهوض بالعلوم والفنون ، فشجعوا العلماء وقربوا الأدباء وأجزلوا لهم العطاء .

فوضع بطلميوس الأول نصب عينه تحسين حال البلاد ورفع مستواها فى كل مرفق ، وعنى بخاصة بترقية الآداب وانعاشها . فدعا ديميتريوس الفليرى[1] الذى كان يعرف قيمة العلوم والفنون ويقدر أهميتها ويعترف بفوائدها العظيمة إذا ما نميت ونظمت ولقيت من العناية ما يليق بها . وإليه يرجع كثير من المؤرخين الفضل فى تأسيس مكتبة الإسكندرية الشهيرة ودار الحكمة فيها . ولقد نجح ديميتريوس فى اقناع بطلميوس الاول بأهمية الكتب وقيمتها الأدبية والسياسية لأنها تستطيع « أن تقدم للملوك من النصائح الثمينة والإرشادات القيمة ما لا يجرؤ أن يتقدم به أصدق المقربين إليهم » .

وتولى فيلادلفوس الملك بعد أبيه وكان عهده الزاهر يمتاز بانتعاش الآداب وازدهار العلوم . ومع أن بعض العلماء ينسبون لأبيه فضل تأسيس المكتبة إلا أن هذا أمر مشكوك فيه[2] ومهما يكن من أمر هذا البناء فان فيلادلفوس هو الذى غذى المكتبة حتى

---

(١) ولد عام (٣٤٥ ق . م) ، ارتقى أعظم المناصب فى أثينا وتقلد الحكم فيها عام (٣١٧ق . م) وبقى يحكمها حتى عام (٣٠٧ ق.م) ثم طرد منها وفر إلى الاسكندرية . وقد اشتهر خطيباً وفيلسوفاً وشاعراً ، ولذا كان له أثر عظيم فى حياة الاسكندرية الأدبية عندما أقام بها .

(٢) ما زال هذا الموضوع نقطة خلاف بين النقاد ، أنظر Couat, La Poésie Alex., p.p. 8-9; Breccia, Alex. ad Aegyptum, p. 45.

أصبحت غنية وحقق لها شهرتها الخالدة ، إذ لم يتردد فى شراء الكتب والمجلدات الثمينة بأى ثمن حتى أصبحت فى عهده أشهر مكتبات العالم وامتلأت على حداثتها بالمخطوطات والمراجع العديدة التى بلغ عددها حسب تقدير العالم البيزنطى « تزتزيس » (Tzetzes) ٤٩٠٫٠٠٠ مجلد ، وفى نفس الوقت بنيت المكتبة الصغيرة التى احتوت على ٤٢٫٨٠٠ مجلد .

ولقد سار بطلميوس الثالث على نهج أبيه ولم يأل جهداً فى جمع الكتب النادرة واقتناء السجلات المتعددة ، فأصدر أمراً بأن كل المسافرين الذين يمرون بالاسكندرية ، يجب أن يتنازلوا عن كتبهم ويتركوها هدية منهم لمكتبة الاسكندرية ، وكانت تقدم لهم نظير ذلك هدايا من أوراق البردى التى اشتهرت بها مصر . ولقد تحايل هـــذا الملك أيضاً حتى حصل من أثينا على النسخة الأصلية لمسرحيات ايسخولوس وسوفوكليس ويوريبيديس وبذل فى هذه الصفقة مبـــلغا جسيما من المـال .

أضف إلى ذلك أن البطالمة اهتموا بالمكتبة الكبيرة وإدارتها فعينوا أعظم أدباء العصر وعلمائه امناء لها . وقام هؤلاء بتنظيمها وتصنيف كتبها وتقسيمها حسب الموضوعات ووضعوا لها الفهارس . فنسمع ان زنودوتس (Zenodotos) ، وهو أول أمين للمكتبة ، اهتم بتبويب الشعر القصصى والغنائى وعهد إلى مساعديه بتنظيم الكوميديا . ولقد صنـــع كاليماخوس فهارس الكتب وضمنها ترجمة موجزة لحياة بعض المؤلفين .

وبهذا أصبحت الإسكندرية عاصمة للعلوم والفنون فى ذلك العصر ، فبالرغم من تعدد المراكز الأدبية فى مقدونيا وبرجاموس وجزيرتى كوس ورودس واليونان الكبرى ظلت الإسكندرية تتمتع بشهرة لم تبلغها أية مدينة أخرى ، فلا عجب إذن أن سمى هذا العصر من عصور الأدب اليونانى القديم باسم عصر الاسكندرية[1] نسبة إلى هذا الثغر الجميل .

---

(١) غير أن علماء الألمان يميلون إلى تسميته (بالعصر الهلينستى) للتفرقة بينه وبين العصر الهلينى لأن هذه التسمية فى رأيهم ، أعم ، ومن الممكن إطلاقها على الحركة الأدبية فى العالم كله لا فى الاسكندرية وحدها ، أنظر :
Legrand, La Poésie Alex., p. 14.

لقد ترجمنا هذا الكتاب إلى اللغة العربية ونشرته مكتبة النهضة ١٩٥٢ .

٢ ـــ خصائص العصر

امتاز هذا العصر بانتشار التعليم انتشاراً عظيماً ، ولقيت فيه الآداب الشعبية إقبالا كبيراً ، فانكبت عليها طبقات الشعب تقرأ الكتب التى ألفت فيها بكثرة وافرة ، ولقد ساعد على كثرة الكتب التوسع فى إنتاج ورق البردى وأدوات الكتابة ، كما أن المواصلات السهلة وسرعة الانتقال بين أنحاء العالم الهلينستى ، ساعدتا على ازدهار ورقى المستوى الثقافى فى جميع البلاد . فانتعشت العلوم ، وارتقت الفنون ونشطت الحركة الأدبية ، ولكن لم يصلنا للأسف ، من كل ذلك إلا قدر ضئيل إذ ضن علينا الزمن بالمحافظة على كل آثارهم الأدبية وخاصة النثر منها . ولكن مهما بلغت قلة ماوصل إلينا من إنتاجهم فانها تكفى لرسم صورة صادقة عن خصائصه .

ولكن قبل أن نذكر أهم مميزات إنتاجهم الأدبى ، يجب أن نشير إلى التغييرات السياسية والاجتماعية التى أدت إلى ظهوره وأثرت فيه .

لقد كان اليونان فى العصر الذهبى يتمتعون بالمساواة التامة ، يتقلدون جميع المناصب ويشتركون فى مناقشات الجمعية العمومية ويقترحون القوانين ويقيمون المهرجانات الأدبية والأعياد القومية ويشاهدون المسرحيات ويستمعون إلى الشعراء ، فأدى ذلك إلى وجود وحدة

ثقافية بين الأغنياء والفقراء ، بين النبلاء والعامة ، بين سكان المدن وأهل الريف . فنحن نرى فى تمثيليات مناندروس عبيداً من القرى يعرفون بعض المآسى ويحفظون فقرات منها .

ثم تبدلت الأحوال عندما تكونت الممالك الهلينستيه فى مصر وسوريا وتوسع النفوذ الهلينى فى الشرق وأصبح اليونان يعيشون غرباء بين شعوب أجنبية . يختلفون عنهم فى نظم التربية ولا يعرفون الأعياد القومية بالمعنى الصحيح ولا يتمسكون بأهداب الوطنية ، لأن شعوب العالم الجديد كانت منكبة على أعمالها اليومية ومنصرفة إلى شئونها الخاصة وتسعى وراء منافعها التافهة إلى المهرجانات التى يقيمها الملوك على أنها مجال للترويح ، تخاطب الحواس ولا تناجى الروح ، لذا لم يعد الأدب يحتل فيها المكانة الأولى بل تخلى عنها للمعروضات الفنية والتحف النادرة . « فهذا مهرجان يضم جموعاً لا حصر لها وتلك تماثيل مكسوة بثياب فاخرة تصور آلهة وأبطالا ، وذاك حشد من العبيد يحملون أوانى ثمينة من الذهب والفضة ، وهذه عربات وضعت عليها لوحات ناطقة تعبر عن بعض المناظر القديمة وتلك نافورات متنقلة يتدفق منها اللبن والنبيذ ، وهذه سلال فضية وأحجار كريمة ومفروشات جميلة تبهر العين بزخارفها ورسومها التى تخالها من صنع الربات ، وهاهى ذى آلهة الحب تحلق فوق أغصان الشجيرات »[1]

---

(١) أنظر ثيوكريتوس : أعياد أدونيس ، قارن أثنايوس ، فصل : ١٩٥ ـ ١٩٦ ، حيث يعطينا وصفاً رائعاً للحفل العظيم الذى أقيم بمناسبة تتويج فيلا دلفوس .

يضاف إلى ذلك أن شوارع المدن الهلينستية كانت تغص بالفنانين الشعبيين ، من مهرجين وبهلوانات ، ارتدوا ثياباً مزركشة تصحبهم فرق الموسيقى الصاخبة ، يرقصون ويقومون بحركات تمثيلية مضحكة وينشدون ، وسط تهليل الشعب ، مقطوعات من وحى الخاطر ، يمجها الذوق الرقيق . ولكن شعراء الإسكندرية كانوا يستمعون إلى هذه الأناشيد ويستلهمون منها قصائدهم التى تفيض بالهجاء المقذع والفكاهات المبتذلة مثال ذلك الأشعار الأيوبية الفاجرة التى نظمها سوتاديس والأغانى الماجنة التى كتبها كتسيفون (Ktesiphon)والتمثيليات المرحة التى ألفها رنثون(Rhinthon). لذلك اكتفى عامة الناس برؤية المناظر الخلابة ومشاهدة التمثيليات الواقعية الفجة ولم يهتموا بالشعر الرائع والموسيقى العذبة ولم يتحمسوا للأناشيد القومية والأغانى الدينية .

فليس من العجيب إذن أن يخلو أدب الإسكندرية من الوطنية لأن هذه العاطفة لابد لها من جو ملىء بالحرية لتنمو فيه ، ولأن انتعاشها لا يتم إلا فى نفوس حرة تعشق الاستقلال وتحافظ عليه ، ولكن العالم كان لا يعرف الحرية ولا يكترث لوجودها ، ففى ظل حكومة بطلميوس أو أنتيوخوس أو هيرون لم يكن هناك مجال للجدل السياسى ، وكانت المشاحنات التى تشغل الشعراء لا تنجم إلا عن خصومات أدبية وخلافات مذهبية بين مدارسهم . فلم تعد الوطنية دينا قومياً يدفع إلى أنبل النزعات وأعظم التضحيات بل أصبحت عاطفة هادئة يشعر بها الأديب نحو وطنه ، عاطفة تمتزج بمشاعر متباينة لا يمكن تمييزها . فعندما يتمنى ثيوكريتوس أن يتخلص وطنه من جنود العدو ويقول :

« ليتنا نسترد البلاد التي دمرها الأعداء تدميراً ، ليتنا نسكنها من جديد ونزرع أرضها الخصبة ، ولعل ملايين الأغنام البدينة تثغو في الوادي ، ولعل الأبقار ، عند عودتها إلى حظائرها وقت الأصيل ، تحث السائر على الاسراع ولعل الأرض القاحلة تعد للبذر ...[1] » فانت ترى معي أن هذه أمنيات شاعر يحب الريف وليست مشاعر وطني متحمس .

ولقد احتل تملق الحاكم والولاء له ما كان للوطنية من منزلة ، فلىء أدب الإسكندرية بقصائد المدح أو أغاني الزواج أو أناشيد الرثاء على السواء ولقد اعتمد شعراء هذا العصر على المبالغة والكذب واتخذوها وسيلة رئيسية للتملق ؛ وكانوا يعتمدون في ذلك على التشبيهات المستمدة من الأساطير . فأعمال هيرون تقارن بأعمال اخيليوس ، وبطلميوس يشبه ديوميديس في بأسه وشجاعته ، وزواج فيلادلفوس من اخته يقارن بالزواج المقدس بين زيوس وهيرا .[2] ولم يكتف الشعراء بهذه التشبيهات بل أعلنوا في مواضع عدة أن الملوك ينحدرون من سلالة الآلهة ونادوا بتأليهم ؛ وتبع ذلك أن فقد آلهة الأولومپوس منزلتهم الممتازة بل ذهب بعض الأدباء إلى التهكم بهم والتشكيك في وجودهم[3]

واشتهر كتاب الإسكندرية أيضاً بأنهم كانوا مقلدين ، لم يبتكروا جديداً بل عادوا إلى تراث أسلافهم القديم ليدرسوه وليبحثوا فيه وليعلقوا

(١) القصيدة : ١٦ « ربات الرشاقة أومديح هيرون » : ٨٨ وما بعده .
(٢) القصيدة : ١٧ .
(٣) أنظر الفصل الثالث ، ٢ ــ شعر الملاحم .

عليه . واهتموا بالدقة فى التعبير وصياغة القصائد ونقاء الأسلوب واختيار الألفاظ النادرة واستخدام الأوزان الصعبة وتفننوا فى التباهى بمعلوماتهم وحشوها فى أشعارهم دون مبرر . فكانوا يتنافسون ويشتد بينهم الجدل وتقوم بينهم المساجلات ، ويتناولون بالنقد اللاذع كل ما يسمعون أو يقرءون . وانصرفوا بهذه الأمور عن قرض الشعر الرائع الذى جادت به قرائح أسلافهم ، اهتموا بالصناعة الشعرية والتفقه فى قواعد اللغة . لجمعوا بين الشاعرية والعلم ، فنهم من تخصص فى الفلك والرياضيات (أراتوس) ومنهم من اشتغل بالطب (نِكياس) ومنهم من اتقن عمل الفهارس وأجاد فى نقد النصوص (كاليماخوس ، ريانوس) ومنهم من كان يتعمد الغموض والتعقيد (لوكوفرون)[1] . ولقد اهتموا جميعا بالعلوم واعجبوا بالاختراعات واستولت عليهم رغبة شديده للقيام بالأبحاث العلمية والتحليق فى آفاقها اللانهائية . وشجعهم على ذلك ان المكتشفين كانوا يسيرون بخطا أسرع من الغزاة ، يذهبون للكشف عن الحبشة والهند وبلاد العرب ، فكان على الأدباء ، بدورهم ، ولوج ميادين العلوم والرياضة البحته[2] والطب والعلوم الطبيعية والفلسفية ، والاهتمام بدراسة التاريخ والجغرافيا والآثار ، مما أدى إلى صعوبة كتاباتهم وغموض أفكارهم وكآبة مؤلفاتهم .

---

(١) نظم قصيدة «ألكسندرا» وكانت تشتمل على كل ما هو صعب غريب ، فلم يكن فهمها سهلا من غير شروح لغوية وتاريخية مطولة .

(٢) من أشهر مؤرخى العصر كليتارخوس الذى كتب تاريخاً للاسكندر الأكبر واراتوسثنيس الذى اشتهر بسعة إطلاعه وتبحره فى الجغرافيا والتاريخ

لهذا كلما تناول معظم النقاد المحدثين الكلام عن ذلك العصر ، وصفوه بالعقم والكساد والتدهور والانحلال ورموا أدباءه بالغباء وضعف التفكير [1] .

ولكنهم ، فيما نرى ، غير منصفين فى حكمهم لأنه من السهل اظهار مآثر هذا العصر ؛ فأدباؤه وعلماؤه قد أدوا فيما نعتقد ، خدمات جليلة للأدب اليونانى .

فابتدع زنودوتس فن نقد النصوص القديمة بمقارنة المخطوطات المختلفة ومن ثم حقق ،هو وغيره من معاصريه ، أصول كثير من النصوص اليونانية القديمة ، ولعل أهم ما يدين به المحدثون لعلماء الإسكندرية ما بذلوه من الجهد فى تحقيق الأشعار الغنائية والمسرحيات . كما ان دراسة الأشعار الهوميرية ومقارنة نصوصها التى قام بها ريانوس وأريستارخوس ترينا أن النقد القديم قد تقدم بمضى الزمن ، وقد وجدت أيضاً بعض تعليقات ديديموس على مؤلفات ديموستنيس ، وهى قيمة تدل على سعة اطلاع هذا العالم ، الذى كتب عن أغلب المؤلفين الإغريق .

أما عن ادعاء بعض النقاد ان شعراء الاسكندرية لم يكونوا سوى مقلدين فاننا نجد رداً عليهم فى الأبيات التى نظمها كاليماخوس ، زعيم مدرسة الإسكندرية ، يوضح فيها أن المسألة لم تكن تقليداً بحتاً ولم تعدم مظاهر التجديد والابتكار ، فنراه ينصح أدباء عصره : « بأن يسيروا فى طرق

---

(1) Duff, A Literary History of Rome, p.307.

لم يمش فيها أحد من قبل ويبحثوا عن عين صافية ومنبع عذب، ويقطفوا الأزهار الجديدة »[1] .

ثم يطلب إليهم « ألا يقتفوا أثر غيرهم » فهو يدعو بذلك إلى الإبتكار والتجديد وعدم التقيد بآثار السلف .

وهذا ما فعلوه فى تصوير الحب ، فاهتموا بوصف هذه العاطفة وتحليلها حتى أصبحت تملأ أدبهم ، فلم تعد جوهراً للمقطوعات الغنائية وحدها أو عنصراً هاما فى الفنون الجديدة فحسب بل أصبحت تظل التراث القديم الذى ورثوه عن أسلافهم وتغير معنى رواياته وتبدل مظهر شخصياته .

فالمحاربون الأقوياء عند هوميروس يصبحون عشاقا وغزاة قلوب : هذا أخيليوس يصبح قائداً جذاباً تهيم به پيسديكا (Peisidike) وتخون وطنها من أجله ، وأودوسيوس يوقع الحسان فى غرامه ثم يغدر بهن ويعود إلى إيثاكا ، وزيوس نفسه يصبح عاشقا معموداً كما يسميه راع من الرعاة : «أى زيوس ! لست أنا العاشق الوحيد ، فأنت أيضا تحب الفاتنات وتهيم بهن » .

ولقد استباح الأدباء فى وصف الحب كثيرا من التكلف والتصنع الذى يتنافى مع الانفعالات القوية الصادقة ، فبعد أن كان أروس فى الأدب القديم عنيفا ، يصرع ضحاياه ويقضى عليهم ، أصبح فى شعر

(١) كاليماخوس : إبجراما ٣٩ .

الاسكندرية طفلا خبيثا ساخرا يعبث بالأحبة ويتهكم بهم وأحيانا لا يعرف ما يريد منهم ؛ ولقد ظهر فى أدب هذا العصر عدد كبير من « آلهة الحب » الذين ملأوا القصائد بسهامهم ونيرانهم وقيودهم وأغلالهم وأمدوا الأدباء بالاستعارات والتشبيهات ينمقون بها الأسلوب وينوعون فيه ، ومن أمثلة ذلك قول أسكليياديس :

« إنى أذوب عند ما أرى جمال حبيبتى كما يذوب الشمع عند اقترابه من النار . وماذا يضيرنى إن كانت سمراء ؟ إن الفحم الأسود عند ما يحترق ، يتوهج ببريق لامع كأكمام الورد » .

وقول كاليماخوس وهو يبحث عن نصف روحه : « هل هجرتنى من جديد وذهبت إلى فتى حلو جميل ؟ ياشباب ! لقد طلبت إليكم ألا تستقبلوا هذه الهاربة ! أتركوها تتسكع بالقرب من فتاها الوسيم . آه ! يالها من عاشقة ماجنة ! » .

وهكذا تعلو فى شعر الإسكندرية أصوات رقيقة تعلن عن الحب فى تكلف وتنطق بعبارات منمقة تخلب السمع وتثير الخيال ولكنها لا تحرك المشاعر لأنها لا تعبر عن عاطفة صادقة أو ألم عميق . ومن هذه الأصوات ما كان صريحا إلى درجة الفحش إذ نجد بعض الشخصيات لا تعرف العفة مطلقا وتسعى إلى تحقيق الغرائز الحيوانية ؛ فنرى فى قصيدة « المناجاة » (Oaristus)[1] راعياً يداعب فتاة ريفية إلى حد المضايقة

---

(١) من نظم شاعر اسكندرى غير معروف ، كان يقلد ثيوكريتوس فى كل شىء حتى اختلط الأمر على بعض النقاد فنسبوا هذه المقطوعة إلى شاعرنا ، أنظر .

Legrand (Ph. E.) : Bucoliques Grecs, T. II, p.p. 99-103.

ثم يحاول أن يخلو بها فيلقيها فى حفرة ويعتدى على عفافها . وفى القصيدة الرابعة من ديوان ثيوكريتوس نجد جلفاً يقهقه إعجابا بما يرتكبه كهل فاجر من فسق وما يأتيه من منكر أمام الناظرين .

ومع ذلك فإن أدب الإسكندرية يتضمن إلى جانب هذه مقطوعات أخرى تصور الحب تصويراً حياً قوياً لا تظهر فيه الشهوة ولا تخضع للغريزة الجامحة ؛ مثال ذلك مناظر طويلة من الأرجونوتيكا[1] التى يصف فيها أبوللونيوس حب ميديا وصفا دقيقاً ويحلل عاطفتها تحليلا مفصلا ويعبر عن خلجات نفسها الهائمة تعبيراً قوياً صادقاً . وكان فى مقدمة الأدباء المشهورين الذين أسهبوا فى وصف الحب فيليتاس الكوسى (Philetas) ، وأسكليباديس الساموسى (Asklepiades) وقد تتلمذ عليهما ثيوكريتوس فى صباه وتأثر بهما عندما كان مقيما فى كوس[2] .

كذلك شغف أدباء الإسكندرية بالتحدث عن الريف ومناظره والتغنى بالحياة فيه ووصف الطبيعة وجمالها . ولقد طرق شعراء العصر هذا الباب حباً منهم فى التجديد ، فنجحوا فى ابتكار الشعر الرعوى الذى لم يعرفه أسلافهم من قبل . لقد أحبوا الطبيعة لأنهم كانوا يجدون فيها ملاذا يلائم أمزجتهم ، يخلون إليها سعياً وراء الراحة وهربا من صخب المدن المزدحمة ، التى يتدافع الناس فيها كالخنازير وتمتلىء

(١) الملحمة الوحيدة التى نظمها شاعر اسكندرى على غرار الإلياذة والأوديسا ولقيت معارضة شديدة وهجوماً عنيفاً لطولها الممل ؛ ويدور موضوعها حول مغامرات ياسون ومن ذهب معه من أبطال اليونان للبحث عن الجزة الذهبية ، وسميت الملحمة بهذا الإسم نسبة إلى السفينة «أرجو» التى أبحر عليها ياسون ورفاقه.

(٢) ثيوكريتوس : القصيدة السابعة « أو عيد الحصاد » : ٤٠ .

شوارعها بالعربات » ، فكان يحرم الأدباء فيها من الهواء الطلق والمكان الرحب لذا شغفوا بالريف وتاقوا إلى النوم الهادىء فى ظل الأشجار الوارفة ، فنظموا فى وصف المناظر الطبيعية مقطوعات تعد من أروع ما جادت به قريحتهم، وصفوا فيها حياة الريف وصفاً مفصلا، وصوروها تصويراً واقعياً ؛ ولم يكتفوا بذلك بل عرضوا شخصيات الأساطير القديمة وجعلوهم يحيون حياة رعوية بسيطة . وكان الميل إلى التبسيط مصحوبا برغبة قوية لتصوير الواقع تصويراً دقيقا جداً حتى أنه يخيل إلينا الآن أننا نسمع صدى الحقيقة عند تلاوة أشعار هيروندااس وليونيداس وثيوكريتوس ، فشخصياتهم تردد بالحرف الواحد ما كان يصدر عن اتخذوهم نموذجاً لهم ، بل يمكن القول بأن هؤلاء الشعراء قد سمعوا ، واللوح بيمينهم ، كل ما نطق به أشخاص أحياء وسجلوا ألفاظهم .

ولا أدل على اهتمام الشعراء بتصوير الواقع من رغبتهم فى التوفيق بين الصيغ اللغوية والأماكن والظروف التى ينظمون فيها من جهة وجنسية الأشخاص الذين يتكلمون اللغة من جهة أخرى، فكان الأديب منهم يختار لهجة معينة لكل عمل من أعماله . فأحيانا يستخدم اللغة العامية التى يتكلمها الناس وأحياناً يستخدم لغة أدبية تحتوى على خليط من اللهجات ؛ وكانت اللغة الأدبية تتخذ صوراً تختلف باختلاف الفن الذى تعبر عنه ، فهى تشبه اللغة الهومرية فى الملاحم، وتشبه الأيونية أو الأيوليه فى الشعر الغنائى ؛ ولكن اللهجة الدورية كانت أكثر اللهجات استعمالا فى أدب الإسكندرية ، استخدمها كاليماخوس فى أهم أناشيده ، واستعملها

ثيوكريتوس فى كثير من مقطوعاته التمثيلية والرعوية وقلده فى ذلك موسخوس وبيون . وكانت هذه القصائد وتلك الأناشيد تتميز بالقصر؛ فأروعها لا تزيد عن مائة بيت إلا قليلا ، ذلك لأن أدباء العصر كانوا يميلون إلى المؤلفات القصيرة فأعرضوا عن الكتب الكبيرة والملاحم الطويلة واستجابوا لنداء زعيمهم كاليماخوس الذى حذرهم من الكتاب الكبير ووصفه بأنه شر وبيل ، وأيده فى ذلك ثيوكريتوس عندما سخر من زملائه الذين كانوا يحاولون تقليد هوميروس أو يفكرون فى نظم قصائد طويلة مثل الإلياذة ، والأوديسا «وشبههم بالعصافير التى تريد محاكاة العندليب ذى الصوت الرخيم» .[1] حقاً لقد كانت الغالبية العظمى من شعراء الإسكندرية يجلون هوميروس ولكنهم كانوا يظنون أن إقتفاء أثره ضرب من الجنون ، لأن ميلهم للعمل المتقن والشعر المصقول كان يدفعهم إلى تجنب الاطالة ، فالمؤلف الطويل ، بحكم طبيعته، أكثر تعرضا للعيوب والأخطاء وأولها التكرار المستمر والاستطراد الممل ، ولا شك أن هذه المؤلفات ، كما قال الناقد اللاتينى هوراس ، « لابد وأن تحتوى على أجزاء يصعب على الكاتب تنميقها ولا يستطيع هوميرس نفسه صقلها » ، لذلك لم يكتب النجاح للملحمة التى نظمها أبوللونيوس الرودسى لأنها لم توافق ميول العصر ولم تكن فى روعة الأشعار الهومرية ، فطولها وتركيبها وافتقارها إلى الخيال واحتواؤها على كثير من الفقرات الجافة والأساطير النادرة التى لا تثير الاهتمام ، كل ذلك أدى إلى الإعراض عن تلاوتها والاستماع إلى منشدها .

---

(١) ثيوكريتوس : القصيدة السابعة (أو عيد الحصاد) : ٤٥ــ٤٨ .

كان أدباء الإسكندرية يهتمون إذن بالكيف لا بالكم ، يميلون إلى الإتقان لا إلى الإطالة ويعتقدون أن العواطف لا تبعث الرغبة فى نظم الشعر ولكنها وحدها لا تخلق الموهبة لأن هذه لا تظهر إلا عن طريق العمل المستمر والمجهود المتصل ، وكانوا يرون أنه لا يتسنى لإنسان أن يكون شاعراً عظيما بفطرته ولكنه يحتاج إلى تمرين طويل لأن الشعر ، فى رأيهم ، حرفة تتطلب الجمع بين صفات القلب والروح والإحساس والخيال من ناحية وبين العلم والدراسة من ناحية أخرى. فالأولى هى المادة الخام تصقلها الثانية وتخلق منها عملا فنياً . ولكن يجب ألا نحكم على أدب الإسكندرية بأنه « على تافه » فى موضوعاته كما يظن فريق من النقاد لأنه يحتوى ، رغم ماورد فى بعض القصائد من غموض ، على تفاصيل مسهبة فى الأسلوب وترتيبات بديعة فى القوافى لم تكن دائما نتيجة للتفقة بل كانت تصدر عن رغبة قوية فى خلق نوع جديد من الجمال وعن تحمس صادق وتقدير بالغ للصنعه المحكمة . ويجب أن نعترف لشعراء الإسكندرية بأنهم لم يكتفوا بتنميق التعبير تنميقاً تظهر فيه الدقة والمجهود والعناية الفائقة ، بل اهتموا أيضاً باختيار موضوعاتهم بناء على ذوق عال وحاولوا الإبتكار فى اللغة والأسلوب ، ويجب أن نشير أيضاً إلى أن بعض العواطف التى أحس بها أدباء هذا العصر كانت صادقة مثل حب الريف والحنين إلى دراسة القديم والأسف على النعيم المفقود . لا شك أن هذه العواطف ليست من العواطف السامية ولكنها عواطف « خاصة راقية » والرقى والرقة لا ينقصان من قيمة الإحساسات كما أنها لا يحرمان الإنسان من حق الوجود والحياة .

ومن مآثر أدباء الإسكندرية أيضاً تأثيرهم على أدباء الرومان ، تأثيراً

بالغا فاض به الأدب الرومانى فى عصوره المختلفة . فشيشرون فى الشعر الذى نظمه فى مستهل حياته ، وفرجيل فى قصائده كلها وبوجه خاص فى أناشيد الرعاه ، وكاتللس وأوفيد وغيرهم ، كل هؤلاء قلدوا شعراء الإسكندرية ونقلوا عنهم وتأثروا بأسلوبهم مما جعل كثيراً من النقاد يعزون عظمة روما الأدبية وخصب انتاجها وروعة آدابها إلى إتصالها وتأثرها بالمدارس اليونانية فى ذلك العصر ويؤكدون أنه لولا هذا الإتصال لما تركت روما شيئاً يسمى أدباً .

وميزة أخرى للأدب الإسكندرى ، أو إن أردت الدقة فى التعبير ، فقل للعصر كله ، هى أنك إذا ما تصفحت آثاره وجدت صلة قوية وشبها عظيما بينه وبين عصرنا الحديث فى نواح متعدده . فنلاحظ أنه كان عصر نشاط مستمر وانتاج رائع متصل وان الأديب كان يتمتع فى ذلك الوقت بشخصية مستقله وذاتية حرة ، يعبر عن أفكاره فى صراحة تامة ، بعكس الأديب اليونانى فى العصر الذهبى لأنه كان يكتب دائماً ليعبر عن رغبات أمته ، يشيد بها ويعظم آلهتها ويمجد أبطالها .

ولعلك ، بعد كل هذا ، تعترف معى بأن أدباء الإسكندرية أفادوا الإنسانية فائدة عظيمه عندما تحمسوا لفكرة الفن للفن ونبذوا كل مبتذل رخيص، وأظنك تسلم أيضاً بأنهم يستحقون التقدير لأن المشاعر التى عبروا عنها تقربهم منا وتجعلنا نشعر نحوهم بميل قوى وعاطفة أخوية[1]

(١) يعتبر كتاب «شعر الاسكندرية» ، تأليف لجران ، من أحسن ما كتب عن أدب اليونان فى هذا العصر ؛ أبرز فيه المؤلف خصائص الشعر بصورة واضحة مركزه فى فصول الكتاب المتعددة ، قارن :

Wright, A later Greek Lit., p. 3 pqq.

الفصل الثانى

١ — حياة ثيوكريتوس

تعترض الباحث فى حياة ثيوكريتوس صعاب كثيرة تمنعه من الوقوف على تفاصيلها ومعرفة مراحلها المختلفة التى ما زال بعضها غير معروف لنا على الإطلاق .

فمن قائل إنه من أهالى كوس ، ومن قائل إنه من سيرا كوز ، ولكن الرأى الأول تعوزه الأدلة وقد استند أصحابه إلى شبهات أهمها : أن الطبيعة التى وصفها فى شعره أقرب إلى جزيرة كوس منها إلى صقلية ، وأنه أشار فى قصائده إلى علاقات قامت بينه وبين بعض أهل تلك الجزيرة . ولكن الرأى الذى يرجحه العلماء ويمكن الأخذ به هو أن الشاعر كان من سيرا كوز إذ لدينا مقطوعة من الشعر وجدت فى المخطوطات القديمة مع قصائد الشاعر نظمها أحد شراح ديوانه يقول فيها : « بأن ثيوكريتوس ، شاعر الرعاه ، كان من سيرا كوز » . ويؤيد هذا القول إبجراما أخرى نظمت فى عصر الشاعر وترجمتها : « أنا ، الذى نظمت هذه الأشعار ، ثيوكريتوس ، أحد أهالى سيرا كوز العديدين ، أبى برا كساجوراس وأمى فيلينا المشهورة » . وإذا تركنا هذا جانباً

ومضينا إلى شعر ثيوكريتوس نفسه نلمس فيه الدليل على وطنه وجدناه يصرح فى موضعين من ديوانه بأنه كان من سيراكوز[1]، ولسنا فى حاجة إلى القول بأن ما تشبث به مخالفو هذا الرأى لا ينهض دليلا على ما يريدون . فليست الطبيعة بين كوس وصقلية من الاختلاف بحيث تتميز فى شعر شاعر ، كما أن وجود علاقات شخصية بين الشاعر وبين أهل كوس لا يثبت أنها كانت وطناً له[2].

أما تاريخ ميلاده فيمكننا استنتاجه من ديوانه ؛ فالقصيدة الخامسة « الرعاه » تدل على أن الشاعر كان يبلغ من العمر عشرين عاماً أو أكثر فى عام ٢٩٠ ق . م ، وبذا نستطيع أن نحدد تاريخ ميلاده على وجه التقريب ونضعه ما بين عام ٣١٥ — ٣١٠ ق . م . وفيما عدا ذلك فنحن لا نعرف شيئاً عن الجزء الأكبر من حياته وأين قضاه ولا نعرف كيف مات وأين دفن ، فهذه أمور ما زلنا نجهلها .

ومع ذلك فنحن نستطيع أن نلخص حياته من الإشارات التى وردت فى ديوانه ونقول « إنه ابن پراكساجوراس وفيلينا ، ولد فى سيراكوز حوالى ٣١٥ — ٣١٠ ق . م وذهب فى صباه إلى جزيرة كوس ليدرس تحت إشراف فيليتاس . وبعد أن انتهى من دراسته يظهر أنه عاد ثانية إلى وطنه وحاول أن يكسب ود هيرون ، حاكم

---

(١) القصيدة : ١١ (پولوفيموس) : ٧ ؛ القصيدة : ٢٨ (المغزل) : ١٨ حيث يمجد صقليه ويفتخر بشعبها الباسل .

(٢) لذلك استبعد النقاد هـذا الرأى ونادوا فى أحدث مؤلفاتهم بأنه صقلى من سيراكوز ، انظر : Gow, Theocritus, p. 4.

سيرا كوز وزعيمها ، فامتدحه بقصيدة طويلة ولكنه لم يوفق إلى استمالة ممدوحه الذى أغفل شأنه ولم يشجعه . فاضطر إلى الرحيل عن بلده وغادرها إلى الإسكندرية عام ٢٧٤ ق . م . وكانت هذه فى أزهى عصورها وأبهاها ، عصر الملك فيلادلفوس ، الذى قربه منه وأجزل له العطاء وقدر مواهبه . فأصبح أحد شعراء البلاط المعروفين ، وبقى بالإسكندرية ما يقرب من أربع سنوات ، نظم فيها عدة قصائد فى الثناء على فيلادلفوس والإشادة بملكه ، وتعد هذه الأشعار حتى اليوم مصدراً يرجع إليه المؤرخون ويستشهدون به على إزدهار عصر البطالمة ورقى مصر فى عهدهم .

وغادر ثيوكريتوس مدينة الإسكندرية عام ٢٧٠ (أو ٢٦٩ ؟) ق.م لأنه سئم حياة القصور التى لم يخلق لها وفضل عليها الطبيعة . فكان يحب أن يقضى أوقاته كلها وسط المروج الخضراء ، وبين جداول الماء وتغريد الطيور ؛ عشق الطبيعة فى كل مظاهرها ، فترك الإسكندرية إلى جزيرة كوس التى ترعرع فيها ونما وشب بين ربوعها ، وهام بها وفتن بمناظرها الجميلة فوصفها فى شعره وترنم بها ، وبقى فى هذه الجزيرة وقتا ثم تركها إلى جزيرة ميليتوس ليزور عزيزه نكياس ، صديق صباه . وبعد ذلك تأتى حلقة مفقودة من حياته ما زلنا نجهلها تمام الجهل[1].

(١) هناك رواية تقول بأنه قضى آخر أيامه فى الاسكندرية ومات بها ، وأخرى تقرر أنه أعدم فى سيرا كوز . ولكننا لا نستطيع قبولها أو ترجيح واحدة منهما لأننا لا نملك أى دليل على قاطع ؛ قارن Egger, Hist. de la Litt. Gr. p. 327 ، أما الروايات المتضاربة التى أشرنا إليها فرجعها Kynaston, The Idylls attributed to Theocritus, p. 18.

٢ ـ أثر البيئة فى شعره

قضى ثيوكريتوس الجزء الأكبر من حياته فى سيراكوز ، عاصمة صقليه ، وفى جزيرة كوس ، وفى مدينة الإسكندرية ؛ ونحن لا نستطيع أن نتناول أشعاره بالدرس والتحليل قبل أن نقف قليلا عند هذه الأماكن ، نعرف مدى تأثيرها عليه ، فليس من شك فى أن شعره قد تأثر بها تأثراً بعيداً بل وكان ، كما سنرى ، وصفاً دقيقاً لها وتصويراً رائعاً للحياة فيها .

ولد ثيوكريتوس فى سيراكوز « إحدى المدن اليونانية الكبرى وأجلها » ، وصفها شيشرون فقال « شمسها مشرقه ، صباحها جميل وسماؤها صافية إلا من بعض السحب البيضاء المتناثرة هنا وهناك تكسبه روعة وتزيده جمالا فوق جماله » . وما قاله خطيب الرومان فى جمال الطبيعة بسيراكوز عاصمة صقلية ينطبق على الجزيرة كلها . فصقليه جزيرة بديعة المناظر ، كان لمناظرها الخلابة أثر ملموس فى قصائد الشاعر الذى استهوته بسحرها لأنها كانت حديقة غنـــاء يانعة ، فنراه يترنم بها ويشيد بوصفها . . يكتب لنا شعراً رائعاً ، بسيطا دون تكلف . وكيف لا ؟ لقد نشأ منذ نعومة أظافره وترعرع منذ صباه فى أحضان الطبيعة حتى تغلغلت فى نفسه ونفذت إلى أعماقها ، طبعته على

الهدوء وحب السلام وهدأت من ثورته عندما سخط على ذلك العصر المادى الذى عاش فيه ، وعلى أهل ذلك الزمن الذين كانوا ينزلون المادة من أنفسهم أعلى منزلة ويعتبرون الجاه أقوى سلاح والمال أعز أمنية ، ينظرون إلى الأدب عامة وإلى الشعر خاصة على أنه صناعة غير مربحة وترف زائد ، لا ضرورة له ولا لزوم لتشجيع المشتغلين به والإهتمام بأمرهم[1] . ولكن ثيوكرتيوس كان قانعاً ، هادئاً بطبعه فلم يحفل كثيراً بهذا الوضع ولم يعبأ بتلك الروح التى سادت ذلك العصر فانكب على الطبيعة يتأملها ويفكر فى جمالها ويستلهمها فتلهمه ويجيل فيها البصر فتمده بما يملأ نفسه بهجة وسروراً ، فيضرب فى ربوعها ويجلس بين قطعان الأغنام ويستمع لأناشيد الرعاة ومن حوله عيون وينابيع ومروج ومزارع إمتلأت بالطيور الصادحة والبلابل الشادية ؛ فينثال منه الشعر انثيالا فى وصف الأعشاب الخضراء والرياض الغناء والأشجار الباسقه والجداول الصافيه ، يصفها كلها وقد أرهفت حسه وانطقته شعراً خالداً لم يسبقه اليه أحد من قبل ولم يجاره فيه شاعر من بعد[2] . فما زال يعتبر فى هذا الفن البداية والنهايه رغم كثرة من قلدوه .

وكانت جزيرة كوس جميلة مثل صقليه ، امتلأت بالمناظر الشاعرية وامدت ثيوكريتوس بما يريد ، نقل عنها استعاراته وتشبيهاته ونقل عنها أوصافه لذا يمكن القول بأنه إن كان للبيئة تأثير على الشعراء

(١) انظر الفصل الخامس : ١ ـــ من ثيوكريتوس: ٦ .

(٢) Lang, Theocritus, p. p. 21 - 23.

بصورة عامة فإن أثرها أقوى وأوضح على شاعرنا بصورة خاصة . ولا أسوق دليلا على هيام ثيوكريتوس بطبيعة هذه الأماكن وحبه لها إلا ما تفيض به قصائده من وصف ممتع لها . فيقول مثلا فى وصف مزرعة لأحد أصدقائه :

« يممت أنا وأصدقائى نحو مزرعة فراسيداموس ، وهناك استلقينا على عشب كث نضر ، تنبعث منه رائحة قوية زكية ، وكانت تحيط بنا أغصان الكروم المتشابكة وتلتف حولنا بأوراقها الخضراء ، ومن فوق رؤوسنا تعانقت أشجار الحور الباسقة وتمايلت فروع البقيصاء المتلاصقة وبالقرب منا انبثقت المياه الصافية من العيون الجارية ، فكان خريرها عذبا وكانت حركتها لحنا . وعلى الأغصان المعروفة صدحت البلابل وغنت الأطيار[1] .

وفى القصيدة التى نظمها فى مدح هيرون ، حاكم سيرا كوز ، نجده لا ينسى الطبيعة ولا يغفل مناظرها . فمع أن هذه المقطوعة «مليحمة»[2] حربية حافلة بأنباء المعارك التى خاضها ذلك الملك ، فإنها لم تخل من وصف المناظر الطبيعية التى يعبر الشاعر عن نهمه بها ، فنسمعه يصوغ أعذب أمانيه وأعرض آماله قائلا : « ليتنا نسترد البلاد التى دمرها

---

(١) القصيدة السابعة (أو عيد الحصاد) : ١٣٢ ـ ١٤٠ .

(٢) أردنا باستخدام هذه الكلمة أن نترجم اللفظة اليونانية (epullion) ومعناها ملحمة قصيرة انتشرت فى عصر الاسكندرية بدلا من الملحمة الطويلة (epos) التى أعرض عنها شعراء هذا العصر ؛ انظر : الفصل الأول : ٢ ـ خصائص العصر، ص ١١

العدو تدميراً ... وليتني أرى الفلاحين يكدون ويكدحون بينما لجأت الطيور وقت الظهيرة إلى الدوح العالى تنعم بظله الوارف، تشدو بأعذب الألحان وترقب الرعاه يعملون فى حر القيلولة اللافح[1] » .

أما الإسكندرية فأثرها أبلغ ، ولا عجب فى ذلك لأنها كانت أكثر مراكز الأدب إزدهاراً ، لا يوجد من بين المؤرخين القدماء من لم يمجدها ويتناول عظمتها بالمديح والثناء . فنهم من امتدح مناخها الجميل ومناظرها البديعة ،ومنهم من أثنى على مبانيها الضخمة ومتاحفها العظيمة ، ومنهم من لقبها « بعاصمة العالم » وسماها أم المدن وأغناها ، ومنهم من قال « إنها تحوى ما تشتهية الانفس وتلذ الأعين » .

واشتهرت الإسكندرية كذلك بحدائقها الغناء وثمارها الوفيرة وأزهارها الباسمة التى كانت لا تنقطع فى أى فصل من فصول السنة » .

أظن مدينة مثل هذه لا بد وأن تكون قد أثرت على الشاعر كما يظهر من قصائده التى كتبها أثناء إقامته بها بل ومن التى نظمها بعد أن نزح عنها ، فكلها تفيض « بالعرفان بالجميل لملك مصر وبالإطراء على تربتها الخصبة ونيلها المبارك الذى يتدفق بمياهه الوفيرة ويروى أرضها الغنية ومدنها الكثيرة وسكانها الذين يفيضون قوة ونشاطا » . فمصر بأهلها المهرة وحقولها النضرة وقراها الهادئة هى التى ألهمته ثلاث قصائد من أهم أشعاره[2] .

---

(١) انظر : الفصل الأول : ٢ ـ خصائص العصر ، ص ١١ .

(٢) القصائد : ١٤ (أوحب كونيسكا) ، ١٥ (أعياد أدونيس) ، ١٧ (مديح بطلميوس) .

تأثر ثيوكريتوس إذن بالطبيعة إلى حد بعيد واستجاب لها فصقلت فكره ، وأرهفت حسه ، وجعلته يتصل بأصول الحياة، ويرتبط بها بوثيق الأسباب ، احتكرته لنفسها ولم تدع فى قلبه مكانا لحب غيرها إلا أن يكون مرده اليها وجماله من جمالها ، فتفنن وأبدع فى وصفها سواء فى صقلية أو فى كوس أو فى مصر . فجادت عبقريته بنوع جديد من الشعر، ذلك هو شعر الرعاه الذى تناول فيه الكلام عنهم ووصف حياتهم ، تعرض لهم وهم يرعون أغنامهم ، وجلس بينهم وهم يتبارون بأناشيدهم وصحبهم فى غدواتهم وروحاتهم ، وأخذ يحلل نفسيتهم تحليلا دقيقا ويصور إحساساتهم تصويراً بارعا ويعبر عن عاطفتهم تعبيرا صادقا ، وهو فى تحليله وتصويره وتعبيره بارع كل البراعة ، يجعلنا نعيش معهم ونحس إحساساتهم ونشعر شعورهم ، وليس هذا بكثير على من وهب عبقرية جبارة وخيالا خصبا .

الفصل الثالث

أشعاره

١ — شعر الرعاة

من السهل على الباحث فى أدب الإسكندرية أن يلاحظ تنوع ألوان الشعر فى مؤلفات الأديب الواحد لأن شعراء ذلك العصر لم يفضلوا الإنقطاع إلى لون دون غيره ، بل كانوا يحبون التنويع ويميلون إلى تناول موضوعات شتى ونظمها فى أنواع الشعر المختلفة ، لذلك نجدهم يكتبون الملاحم القصيرة والمرثيات والمقطوعات الغنائية والإبجراماتا . وهذا ما فعله ثيوكريتوس مجاراة لمعاصريه .

كان شاعرنا أشهر أدباء العصر وكان أيضا أكثرهم تنويعا لقصائده التى اختلفت فى شكلها وفى أوزانها وفى موضوعاتها .

نظم الشعر فى مختلف الفنون التى تناولها معاصروه ، لم يترك موضوعا إلا وتعرض له ، ابتكر الشعر الرعوى، وقرض شعراً فى الرثاء والمديح ، وأكثر من القصائد الغرامية ، وأنشد بعض الملاحم القصيرة التى تحدث فيها عن أبطال اليونان ومخاطراتهم ووصف أعمالهم وأثنى على بطولاتهم . وكان فى كل ما كتب مجدداً ، وكانت كل قصائده تفيض حياة وتمتلىء

قوة ، كلها جمال وروعة حتى قال عنة النقاد « إنه ما كتب شيئاً إلا وكان جميلا » .

ولكنه لم يكن شاعراً مبدعاً وعبقرياً فى كل ما نظمه بقدر ما كان فى المقطوعات الرعوية ، ذات الموسيقى العذبة والأنغام الحلوة والمعانى الجميلة ؛ هذه اللوحات الرائعة التى بفضلها أصبح من شعراء العالم الخالدين والتى من أجلها اعتبر ديوانه كنزاً نفيساً ، يتسابق كل أديب إلى الاحتفاظ بنسخة منه ويهتم كل ذى ذوق شاعرى بتلاوته حتى قيل : « إن قراءه من الغربيين أكثر من قراء هوميروس »[1] .

حقا ما أجمل أناشيده الرعوية ! إنها تفيض حيوية وحركة ؛ تتلوها فتستعذب موسيقاها الرخيمة وأنغامها الشجية ؛ مرة تصور لنا المباريات الغنائية التى يتسابق فيها الرعاه ويتساجلون بألحانهم العذبة[2] ، ومرة تستولى علينا بتصوير العواطف الجياشة والانفعالات القوية ،[3] ومرة أخرى تصف لنا عيد الحصاد الذى يحتفل به الريفيون ويرددون فيه الأغانى والأناشيد[4] .

زد على ذلك أن حب الشاعر للنباتات واهتمامه بالحيوانات وغرامه بالطيور ، كلها تدفعه إلى أن يصفها لأن الطبيعة تحيط به من كل جانب ،

---

(١) Mackail (J. W.), Lectures on Greek Literature, London, 1910, p. 289.

(٢) القصائد الأولى ، الرابعة ، الخامسة .

(٣) القصائد الثانية ، الثالثة ، السادسة ، الحادية عشرة .

(٤) القصيدة العاشرة .

لذا ينقل فى قصائده عن الحقيقة ، فيصور الواقع ويصف أشياء ماثلة أمامه ومناظر لها أصل فى الوجود ، ويتكلم عن مجتمع معروف له وريف يحبه ويحب كل من فيه وما فيه ، يصفه وصفاً مفصلا ممتعاً :

فيصف لنا شجيرات الزيتون وأغصان الكروم ترقص مع النسيم وترسل فى الفضاء أريج أزهارها المتفتحة كما ترسل القبلات العاطرة[1] ، والبقرة الرشيقة ذات الأهداب الشقراء[2] ، تتمطى فى أشعة الشمس كأنها حسناء تتقلب فى فراش وثير دافىء ، والنعجة البدنية[3] تثغو وبجانبها حملها الصغير ، يرضع من لبنها ، والكلب رابض قد أغمض عينا وفتح أخرى ، يلقى على القطعان نظرات الرضا والإطمئنان .

كل هذا جعل شعره حيا ، يصور حياة الرعاه تصويراً صادقاً ، ويعرضها لأول مرة فى قصائد خالده ، مازالت تعد للآن أصدق وصف للأماكن التى عاش فيها الشاعر ، بل ما زالت تسيطر على أذهان كل من يزور هذه المناطق حتى أنه عندما يحل بها ويشاهد مناظرها لا يستطيع مطلقاً أن يفرق بين ما يرى وبين ماورد فى شعر ثيوكريتوس من وصف لها .

وأقوى دليل على ذلك ماقاله العالم « لونورمان » عندما كان يقوم

---

(١) القصيدة السابعة : ١٣٥ ــ ١٥٧.

(٢) القصيدة الرابعة : ١٢ ــ ١٥.

(٣) القصيدة الخامسة: ٨٢ ــ ٨٣.

بأبحاثه فى منطقة من المناطق التى عاش فيها الشاعر[1] : « بين الفينة والأخرى كنا نرى الأغنام والماعز تقيل مرة فى ظل الأشجار التى ملأت الوادى ومرة ترعى الأعشاب التى غطت سفوح الجبال وكست قمم التلال ومن ورائها رعاتها وقد ألقوا على أكتافهم الفراء السميكة وأمسكوا فى أيديهم الهراوات الغليظة فكنا نظن أننا نرى لا كون أو كوماتاس أو لوكيداس الذين خلدهم ثيوكريتوس فى أناشيده » .

لقد عرض لنا الشاعر صورة حيه لحياة هؤلاء الرعاه كما كانت لا كما تصورها مقلدوه من بعده ، لذا جاء شعره صورة طبق الأصل من الطبيعه ، وصف لنا المروج الخضراء بصقلية وكوس التى بعثرتها الطبيعة هنا وهناك فوق التلال المطله على بحر أزرق لا نهائى ، والأكواخ الصغيرة التى تغطيها أغصان الكروم المتشابكه ، وأحواض البنفسج بأريجها العبق ورائحتها الشذيه ، وأشجار الزيتون الخضراء والبلوط الباسقة والحور العالية . وهناك وهو جالس تحت هذه الأشجار على شاطىء البحر شنفت أذنه أصوات مختلفة[2] ، أحبها وذكرها بالتفصيل : ثغاء الماشية وطنين النحل وشدو البلابل ونواح الحمام وخرير الجداول ونقيق الضفادع وحفيف الأغصان وتلاطم الموج . وكانت هذه الكائنات المختلفة ، بأصواتها المتباينة ، تبدو للشاعر وكأنها تخضع ليد

---

(١) وردت هذه الفقرة فى تقريره عن الأبحاث التى قام بها فى جنوب بلاد اليونان ، انظر .Couat (A.), La Poésie Alexandrine, p. 422

(٢) انظر القصائد الرعوية : الأولى ، الثالثة ، الرابعة ، الخامسة ، السادسة ، العاشرة . . . الخ

غير منظورة كى توقع لحناً أزليا لا يسمعه غير الشعـــراء أمثال ثيوكريتوس .

وعلى هذا المسرح الطبيعى اتخذ شاعرنا أبطاله من الرعاه لأنهم وحدهم ، لسعة وقتهم وبحكم عملهم ، يعيشون على صلة مباشره بالطبيعه ولذلك يصورهم بمهارة فائقة كما يراهم ، ويحبهم ويحب قطعانهم ، فهو يحجب بهم ويعجب منهم لأنهم يعرفون القطعان بأسمائها ، وينادون كل عنزة بلقبها وكل ثور بكنيته ، ويعرفون أيضاً أمراضها وآلامها . فيصورهم الشاعر كرعاة بسطاء سذج تبدو بساطتهم وسذاجتهم بوضوح فى تصرفات كوريدون وثورسيس وبوكايوس وغيرهم ؛ جميعهم أشخاص ريفيون بمعنى الكلمة ، لا يطمحون إلى مجد ولا يطمعون فى ثراء ، لا يتناقشون فى السياسة ولا يتحذلقون فى القول ، لا يتعمقون فى أحاديثهم ولا يفلسفون آراءهم ، لا يتعرضون لمشاكل الحياة ولا يخوضون فى النظريات الدينية . لماذا ؟ لأنهم رعاه ليس إلا ، بعكس الرعاة عند فرجيل وكالپورينوس كما سنرى فيما بعد[1] . لم يتعرض الشاعر لرعاته إلا فى عملهم وهو مراقبة القطعان ترعى الكلأ ، ولم يهتم إلا بتصوير عواطفهم وتحليل نفسيتهم .

وأقوى العواطف التى تفيض بها قصائده هى عاطفة الحب . وسنتناول الآن تحليل هذه العاطفة كما صورها الشاعر فى قصائده مبتدئين بأبسطها ومنتهين بأرقاها .

---

(١) الفصل الرابع ، ٢ ــ عند الرومان ، ص ٦٠

فى القصيدة العاشرة يقدم لنا الشاعر أبطالا من الرعاة السذج الذين لا يريدون من الحياة شيئاً بل يقنعون بالقليل ويرضون باليسير . يصور لنا « ميلون » فى صورة ريفى قوى صبور على العمل المتواصل صلد كالثور ، لا يفكر فى شىء إلا فى طعامه وشرابه ثم يقارنه فى نفس القصيدة بزميلة بوكايوس ، وهو كسول خامل ، يعجز عن إنجاز نصيبه من العمل لأنه محب ولهان ، أضنته العاطفة وأسأمته ؛ وثيوكريتوس فى تصويره يجعل ميلون مثلا لكل ريفى بسيط ، يعيش عيشة الريف البدائية ويعتقد — واعتقاده صحيح — أن أهل الريف الذين يعيشون فى بيئة طبيعية جميلة يغفلون هذه البيئة ، لا يتأملونها ولا يحاولون فهم أسرارها كما يفعل الفنان ... لا يهتمون إلا بملء بطونهم والنوم صيفاً فى ظل الأشجار الوارفة والتدثر شتاء بفراء سميكة لأن هذه أمنيتهم الوحيدة .

وفى القصيدة الثالثة نرى نوعاً قوياً من الحب ... نرى راعياً يتوسل إلى حبيبته أن تخرج من كوخها وتطفىء نار شوقه ولو بنظرة واحدة ويظل يتوسل إليها محاولا إقناعها بحبه وصدق عاطفته ولكنه لم يفلح ، فيلجأ إلى وسيلة أخرى بأن يقص عليها أساطير الأبطال السابقين وكيف كانوا موفقين فى حبهم ولكنها لم تستجب أيضاً لشكايته ولم يهتز قلبها لتوسلاته .

والقصيدة الحادية عشرة تشبه القصيدة السابقة فى موضوعها وتصوير العاطفة فيها ولو أنها عاطفة أقوى بدلت « بولوفيموس » ، ذلك الفظ[1]

(١) هوميروس : الأوديسا : النشيد التاسع .

الغليظ الذى لم يذق من قبل حلاوة الحب أو مرارته ، بدلته وخلقت منه إنساناً وديعاً لينا رقيقاً ، تخلى عن صرامته وصلفه وتحلى باللطف والشهامة وأصبح عاشقاً ولهان ، اكتوى بنار حب شديد وجن بعروس البحر «جالاتيا» . فكان يجلس على شاطىء البحر ساعات طويلة ، يتحين الفرصة ليتمتع برؤيتها ويردد على مسامعها ألفاظ الحب المعسولة وعباراته الجذابه ويغريها بثروته الطائلة وملكه العريض ويقسم لها بأغلظ الأيمان أنها ستكون شريكة حياته وأنها سترفل فى سعادة أبدية وعز مقيم ، ولكن تذهب محاولاته كلها أدراج الرياح ، إذ بقيت الحبيبة تعاند وتتيه دلالا ، وبقى هو يقاسى آلام الحب الفاشل الذى يحرق الجسد والقلب والروح .

وتقوى عاطفة الحب فى أشعار ثيوكريتوس وتصبح عنيفة جارفة وتصبح قتالة مهلكة ، تبلغ أقصاها ويصورها الشاعر تصويراً رائعاً ، يبقى مضرب الأمثال فى روعته وجماله مما جعل معظم النقاد يعتبرون القصيدة الثانية[1] التى تصور لنا هذا اللون من العواطف أروع القصائد الغرامية فى آداب العالم بل أن بعضهم يعدها أقوى ما يمكن أن تجود به قريحة شاعر مرهف الحس[2] .

لقد نجح ثيوكريتوس نجاحا فائقاً فى تصوير الحب الذى استولى

---

(١) أنظر : Ste. Beuve, Portraits Litteraires, p. 3.

(٢) حاول شعراء الرومان تقليد هـذه القصيدة ولكن ذهبت محاولاتهم أدراج الرياح ؟ قارن ، فرجيل : أناشيد الرعاة ، النشيد السابع ، أوفيد : التغييرات : الكتاب السابع : ٢٢٤ وما بعده .

على سميثا : عاطفة استولت على مشاعرها بعنف وقوة ، غزت قلبها بسرعة خاطفة وقهرتها فانتابها سهاد طويل وأرق مضن ، واحتقنت أجفانها وغارت عيونها وذوى عودها . لكنها مع كل ذلك لم تيأس وأخذت تمنى نفسها بعودة العاشق الغادر الذى خان عهده ونقض وعده ، فانتظرت يوما ويومين ولكنه لم يأت . ومر أسبوع ونصف — وما أطول الانتظار وأبغضه — ولم يأت الحبيب أيضاً . زد على ذلك أنها علمت بغدره وتعلقه بحبيبة أخرى وعندئذ تنقلب هذه العاشقة الوديعة إلى وحش كاسر أشبه ماتكون بلبؤة تهاجم من يعتدى على أشبالها . جن جنونها وفقدت رشدها ، فلجأت إلى السحر تستعين به علها بتأثيره تفلح فى الاستيلاء عليه وإعادته إلى سيرته الأولى . وصممت أن تصب عليه اللعنات وتستنجد بالآلهة لكى ينتقموا منه . بماذا ؟ بالقتل .

ومما يزيد فى جمال هذه القصيدة أن الشاعر وفق كل التوفيق عند ما نظم القصيدة فى صورة قصة ممتعة على لسان البطلة سميثا التى وقفت وحدها فى سكون الليل الرهيب ، تروى قصتها للقمر من أولها لآخرها وتطلب إليه أن يصغى باهتمام ليعرف قصة حبها ، كيف بدأت وبم انتهت . وهى فى أثناء ذلك تعـــانى آلام الخيبة وتقاوم مرارة العذاب وتحس بثورة واضطراب فتقول : « قد يسكن الموج وتخمد الريح ولكن لن تخمد نار تعذيبى التى أحس بها تلتهم جوانحى وتأكل أحشائى[1] »

بعد ذلك نصل إلى الصورة الأخيرة التى رسمها ثيوكريتوس لعاطفة الحب .

---

(١) القصيده الثانية (أوسميثا) : ٣٨ — ٤٠ .

فى هذه المرة يصور لنا الشاعر حبا يكاد يكون سماويا ، ذهب ضحيته دافنس ، بطل الرعاة ومثلهم الأعلى ، الذى تعود أن يتريض فى الأحراش ويتجول فى الغابات ، بصحبة الإلهة أرتميس .

كان دافنس شابا جميل الوجه ، حسن المحيا ، أحبته كل المخلوقات ووقعت فى غرامه أفروديتا نفسها ، ولكنه كان منصرفا عنها بحب غيرها فثارت لكرامتها التى امتهنها إذ كيف ينعم دافنس فى حبه لفتاة أخرى ، يفضلها عليها . فاعتزمت أن تثأر لنفسها بأن تذكى فى قلبه نار حب جديد لينسى حبه الأول . ولكن دافنس ينكر حبه ويكبت عاطفته ويخفى شعوره ويقسم « بأنه لن يستسلم لسلطان الحب وسوف يصرعه » . ويظل على هذا الحال ويقوى الصراع بين إرادته القوية وحبه الشديد فيذوى عوده ويضنى ، وعندئذ تشفق عليه أفروديتا وترثى لحاله فتحاول انقاذه ولكن بعد فوات الأوان . لقدمات دافنس فنعته الطبيعة بكل مظاهرها ولبست عليه الحداد ، حزنت عليه الجبال والأنهار حزنا شديداً ، وبكته الحيوانات والطيور بكاء مراً .

تلك عاطفة الحب فى القصائد الرعوية التى امتازت ببساطة التعبير وصدقه وعدم التكلف والابتعاد عن الصنعة وامتازت أيضاً بحيويتها ؛ والمقصود بالحيوية أنها مملوءة بالحركة تنقلك حين تتلوها إلى المكان الذى تصفه . أضف إلى ذلك ما امتاز به الشاعر من صدق العواطف وعمق الشعور . فكان لا ينظر لما حوله نظرة سطحية عابرة بل كان ينظر إليه نظرة مدقق ويتأمل فى أسراره

وينفذ إلى خفاياه حتى قيل عنه « إنه يتمتع بالطبيعة ويحسها ويلمسها ويتذوقها بل يستنشقها نسيما ملء رئتيه »

هذه هى أهم الميزات التى يجب توفرها فى شاعر حتى يعلو قدره . فما بالنا إذا توفرت لثيوكريتوس الذى وهبه الخالق نبوغا خاصاً وأنعم عليه بحب فطرى للطبيعة الجميلة التى ولد بين أحضانها ، فلا عجب إذا إن ظلت شخصيته سامقة يحاول الشعراء من بعده أن يطاولوه ، ولكنهم لا يبلغون مابلغ ويبوءون بالفشل الذريع . لذا اكتفى موسخوس وبيون الشاعران اليونانيان وفرجيل وكالپورنيوس ونمسيانس من شعراء الرومان ومن جاء بعدهم من أدباء أوروبا الحديثة ، اكتفوا جميعا ، كما سنرى فى الفصل الرابع ، باتخاذ ثيوكريتوس مثلا أعلى لهم فى هذا الفن واعتبروا قصائده الرعوية نموذجا لا يمكن لأحد أن يحاكيه ... يقلدونه دون أن يبلغوا ما بلغ استاذهم .

٢ـ الملاحم

من بين قصائد ثيوكريتوس سبع ملاحم قصيرة اهتم فيها بصقل الأسلوب ووجه عناية كبيرة إلى التطرية البيانية والزخرف الصناعى وهو فى ذلك يختلف عن مبدع الملحمة اليونانية هوميروس الذى لم يُعن إلا بسرد الحوادث ، وكان يتحاشى على الدوام التهاويل المملة والزخارف اللغوية لأنه كان يحصر انتباه سامعيه فى صميم القصة وقلما يستطرد طويلا أو يبعد كثيرا عن الجوهر . لذا لم يكن فى حاجة إلى استعمال الأصباغ لتقوية بيانه وستر ضعفه فيعوض السامع بفخامة العبارة عن تفاهة الموضوع ، وبمعنى آخر كان هوميروس يلتزم الروح دائما ويهتم بها ولا يلتفت إلى بهرج الجسم كما فعل ثيوكريتوس وزملاؤه شعراء الإسكندرية .

ويمكننا أن نعزو الاختلاف بين هوميروس وبين شعراء الإسكندرية إلى أن أبا « الملحمة » لم ينظم الإلياذة أو الأوديسا للقراءة والاستمتاع الأدبى بل نظمها للتلاوة والإنشاد فى المحافل ومجامع السمر وربما للتمثيل [١] ويمكننا ان نعزو هذا الاختلاف أيضا إلى ميل شعراء

(١) يحدثنا أفلاطون بأن المنشد كان يأتي بحركات تمثيلية وهو ينشد مقطوعات من الإلياذة ، أنظر محاورة إيون : ترجمة سهير القلماوى ، صقر خفاجة : ص ٤١

الإسكندرية إلى الصنعة والزخرف اللفظى، كما سبق أن بينا .

من الواضح اذن أن ملاحم ثيوكريتوس، إن قارناها بقصائده الرعويه، تبدو مملة يمجها الذوق الفنى، خالية من الخيال الخصب والوصف الممتع الذى تميزت به ملاحم هوميروس ؛ ولكن هذه الملاحم، على أى حال، تحوى، كأى شعر نظمه الصقلى، بعض المقطوعات الجميلة .

استمدت هذه الملاحم موضوعاتها من الأساطير اليونانية القديمة التى نسجها خيال الشعراء الأقدمين حول آلهتهم وأبطالهم .

فالقصيدة الثالثة عشرة تروى لنا قصة « هيراكليس » وحبيبه هولاس، وتصف لنا غضب الأول عندما خطفت الثانى عرائس الماء . ثم كيف ترك هيراكليس رفاقه، وهم فى أشد الحاجة اليه، تركهم ليبحث عن حبيبه فى الغابات . ولقد استطاع ثيوكريتوس فى بيت واحد أن يصف شعور البطل وعواطفه فقـــال « وذهب هيراكليس حيثما حملته قدماه وقد زاد غضبه وثار جنونه لأن إلاهة الحب كانت تمزق قلبه هياما » . [1]

وفى القصيدة الرابعة والعشرين يصف لنا كيف أن هيراكليس الرضيع قتل الحيتين الفظيعتين المرسلتين من قبل هيرا لتقضيا عليه انتقاما من أمه الكمينا التى هام بها زيوس وأنجب منها الطفل . وأحسن ما بالقصيدة خيال الشاعر الخصب وهو يصور هيراكليس فى الشهر

---

(١) القصيدة الثالثة عشرة (أوهولاس) : ٧١ ـ ٧٢ .

العاشر من عمره فى صورة الأبطال ويجعله يدافع عن نفسه منقذا لأخيه .

وفى القصيدة الخامسة والعشرين ، وهى أطول ملاحمه ، يقص علينا قصة هيراكليس والمخاطرات التى قام بها والصعوبات التى لاقاها فى قتل أسد نميا . وتظهر براعة ثيوكريتوس فى أنه استطاع بلباقه ان يتدرج شيئا فشيئا وينتقل تدريجيا من الكلام عن مزارع الملك أوجياس إلى الحديث الممتع والحوار البديع الذى دار بين هيراكليس واحد اتباع الملك حتى ينتهى فى مهارة فائقة إلى وضع الحديث فى قالب قصة يرويها هيراكليس بنفسه لفيليوس بن أوجياس ليصف المجهود الجبار الذى قام به البطل حتى قتل الأسد المرعب الذى أزهق أرواحاً كثيرة وبطش بحيوانات عديدة .

والملحمتان الباقيتان فى المديح - مدح فى إحداهما هيرون ، ملك سيراكوز وتملقه وحاول أن يكسب وده ليقربه إليه ويجعله شاعر البلاط ولكنه لم ينجح فى مسعاه كما نفهم من مهاجمته للروح المادية التى سادت العصر والمذهب النفعى الذى أصبح معيارا للقيم .. فنجده يحمل حملة شعواء على الأثرياء الذين لا يفهمون معنى الثروة ولا يعرفون الطرق السليمة لاستغلالها بل يكنزونها ويمتعون أنفسهم بتكديسها ؛ لا يفكرون فى البائس والمحروم ، ولا يعطفون على الفقير المعدم ، لا تلين أفئدتهم كأنها قدت من صخر ، مع أن آيات الشعراء البينات تلين الصخور ، ولكنهم أغنياء قبل كل شىء ، لا ترق قلوبهم ولا تشعر ، لا يتكلفون تحريك أجفانهم وفتح عيونهم ليروا صرعى البؤس وضحايا الفاقة ، ولا

تأخذهم رحمة الإنسان بأخيه الإنسان . لا يفهمون الشعر ولا يقدرون قيمته الروحية ، فاسمع الشاعر يتساءل فى تهكم مرير : « اين من أهل سيراكوز ذلك الذى سيفتح بابه مرحبا محتفيا بربات الشعر ولا يردهن دون أن يقدم لهن الهبات ؟ » [1]

لقد ران الجشع على قلوب الناس واستهواهم الطمع وحب المال ، فانصرفوا إلى جمعه بكل طريقة شريفة كانت أم غير شريفة ؛ ولذا يعود فيندد بهم قائلا : « أيها الأغنياء[2] التعساء ، إما الفائدة من أكداس الذهب المكنوز ! إن العاقل لا يجد فى جمع المال فائدة أو لذة ، إنه ينفق جزءاً فى متعته ويهب جزءاً لأحد المنشدين . » ونفهم من القصيدة أن الشاعر كان فى عسر وشدة قاسى منهما كثيرا حتى قال: « إننى أبحث عن إنسان كائنا من كان يكرم وفادتى ويحتفى بى ومعى ربات الشعر » . [3]

أما الملحمة الأخرى فهى فى مديح بطلميوس الثانى ، ملك مصر . ومن معناها نفهم أنها نظمت بالاسكندرية حوالى ٢٧٤ ق . م أى بعد أن غادر سيراكوز .

جاء ثيوكريتوس إلى الاسكندرية بعد ضيق مضن وعسر شديد عانى من قسوتهما عناء بالغا كما رأينا فى القصيدة السالفة . ولكن ما أن حل بالإسكندرية إلا ولازمه حسن الطالع : « فلك مصر أندى العالمين بطون

---

(١) القصيدة السادسة عشرة : الأبيات : ٤ ـ ٦ .
(٢) القصيدة السادسة عشرة : الأبيات : ٢٢ ـ ٢٤ .
(٣) القصيدة السادسة عشرة : البيت : ١٠٧ .

راح ، وأسخى الملوك طرا ، ومشجع العلوم والفنون » ، يرحب به وينزله بقصره ويقربه منه فيرضى الشاعر كل الرضا وتطمئن نفسه كل الإطمئنان لحياته الجديدة : حياة العز والنعيم كما نفهم من القصيدة ... وفى هذه القصيدة يمدح فيلا دلفوس ويثنى عليه أطيب الثناء ، فهو بطل الأبطال واعظم الملوك ، اتسعت فى عهده أملاك مصر وامتدت شرقا وغربا وجنوبا ، وهو ملك مصر الذى دانت له كل البحار وخضعت لحكمه اكثر الأقطار وامتثلت له الأنهار ، وهو أغنى أمراء العالم أجمعين ثروته تزيد على ثروتهم جميعا .

ويظهر أن الشاعر ، كغيره من أدباء العصر ، اعتمد فى هذه القصيدة ، على المبالغة والكذب واتخذهما وسيلة رئيسية للتملق . فلم يكتف بمدح الملك والتغنى بشجاعته وسخائه ، بل رفعه إلى السماء وقارنه بالآلهة ولعل التهويل فى الثناء على فيلا دلفوس هو الذى دفع النقاد إلى وصف هذه القصيدة بالتكلف والجمود لأنها لم تصدر عن عاطفة صادقة ، خاصة وان ثيوكريتوس لم يؤمن بهذا المديح الرسمى[1] ، فلم ينزل إلى الحضيض من التملق المفضوح واحتفظ بشىء من احـــترام النفس ، لذا لم يؤله الملوك الأحياء ، واكتفى بتأليه الأموات بعكس معاصريه الذين أعلنوا أن الملوك أنفسم آلهة ونادوا بعباداتهم واتخذوا منها موضوعاً هاماً يسهبون فى الـكلام عنه .

ويرجع ذلك إلى زوال التقوى وضعف العاطفة الدينية فى ذلك

---

1 Calverley, The Idylls of Theocritus, 20; Wright, p. 103.

العصر إذ أخذ الناس يشكون فى الآلهة ويعتقدون أنهم لا يملكون لهم نفعاً ولاضراً لأنهم أغفلوهم وأصبحوا لا يهتمون بهم ، أما الملوك فأحياء يعيشون بينهم ويعملون على إسعادهم ويقدرون على كل شىء ، فهم إذن جديرون بالإجلال والتقديس ، يهابهم الآلهة أنفسهم ويحققون رغباتهم ؛ فأپوللون يمجد بطلميوس الثانى ويطلب إلى أمه ليدا (Leda) أن ترحل عن جزيرة كوس ولا تلده هناك ، لأن القدر كان يحتفظ بها لميلاد « إله » هو فيلادلفوس الذى ينحدر من سلالة « الأرباب الخالدين » ، « فيلادلفوس الذى يؤثره زيوس على الناس أجمعين ويمنحه الوفرة والرخاء ويعلى كلمته ويؤيد مُلكه » .

وهكذا أصبح الملوك آلهة وليس ذلك بعجيب فى عصر ازدهر فيه مذهب يوهيميروس (Euhemeros) الذى نادى بأن آلهة اليونان القدماء كانوا من البشر الممتازين ، قاموا بمعجزات وأعمال خارقه دفعت الناس إلى تعظيمهم وعبادتهم . ولقد أعاد التاريخ نفسه . فما حدث لهذه الصفوة الممتازه فى الأزمنة القديمة تحقق لملوك العصر الهلينستى فاحتلوا منزلة أرباب الأولومپوس . فكان من الطبيعى أن يكون لهذا التغيير صدى فى الملاحم التى نظمها ادباء الاسكندرية .

فشاعرنا مثلا لا يصور آلهة الأولومپوس كما صورهم هوميروس وپنداروس ولكنه يصفهم على أنهم بشر مثلنا ويروى أساطيرهم على أنها قصص مألوفة لا تعبر عن أية قوة خارقة ولا تدل على أى جلال أو تقديس .. فزيوس عنده يصبح عاشقا ولهان وأفروديتا امرأة

عابثه وأروس فتى خبيثا وهيراكليس ريفيا غليظا وأدونيس شاباً جميلا ، وبذلك ينجح الشاعر ، كغيره من أدباء العصر ، فى أن يرفع الملوك إلى السماء وينزل الآلهة إلى الأرض ويجرد الأساطير من كل ما هو غريب ويرويها بطريقة مبتكره ويبعد بها كل البعد عن عالم الخيال ودنيا الخرافات ويقرب بها من الحياة اليومية ويملؤها بالحوادث الواقعية[١] .

1 Khafaga , La naissance d' Héraclès, p.p 33 - 51.

٣ - الإبجاراماتا[1]

لقد أبدى شعراء الاسكندرية فى هذا الفن تفوقا بقدر ما أظهروا من ضعف فى نظم الملاحم ، أما عن تعلقهم بالإبجراما فيرجع إلى أنها كانت أكثر من غيرها ملاءمة لروح العصر الذى عاشوا فيه ، وأسهل وسيلة للتعبير عن المطالب التى استلزمتها حياتهم . اتخذوا منها أداة للترويح عن النفس بما تحويه من طرائف ونكات ، ألقوها فى اجتماعاتهم بالأندية وبالقصور ، ونظموا منها الكثير فى مدح الملوك والملكات أو الغوانى الفاتنات ، ووصفوا فيها المقابر والمعابد والتماثيل والهياكل ، وتقاذفوا فيها الشتائم ، واستخدموها كسلاح للهجاء فى المشاحنات التى كانت تقوم بينهم مثل تلك التى وقعت بين كاليماخوس وآپوللونيوس الرودسى[2] .

---

(١) Epigrammata مفردها epigramma إبجراما وتعنى أى نقش على شاهد قبراو إناء أو قاعدة تمثال ، أو مقطوعة قصيرة من الشعر يتراوح طولهـا ما بين بيتين أو عشرين .

(٢) كان كاليماخوس مدرساً فى إحدى ضواحى الإسكندرية ثم دعاه فيلادلفوس إلى بلاطه وشجعه حتى أصبح من أشهر أدباء العصر وتولى إدارة المكتبة . وكان ، كما رأينا ، يكره الكتاب الكبير والملحمة الطويلة واختلف فى مذامع تلميذه ابوللونيوس الذى كان ينادى باحياء الملحمة الهومرية ، الأمر الذى أدى إلى صراع عنيف بينهما استمر حتى آخر أيامهما .

ولقد أكثر الشعراء بوجه خاص من الابجراماتا التى تفيض بالنصح والإرشاد مثل قول الشاعر ليونداس :

« لا تقض عمرك وتضيع حياتك فى الإنتقال من بلد لآخر ، فالأفضل لك أن تستقر ولوفى كوخ صغير لا يحتوى إلا على القوت الضرورى » . ونظموا أيضاً عدداً كبيراً من الإبجراماتا يصفون فيها سخرية القدر الذى يقسو على الشباب ويخطف الأطفال ويقلب الأفراح إلى مآتم ، وإليك بعض الخواطر الحزينة التى أوحت بها صورة الموت لنفس الشاعر :

« أيها الإنسان ! لقد مرت ملايين من الأعوام قبل مجيئك إلى الدنيا وستمر ملايين أخرى بعد ذهابك إلى الآخرة ، فما أقصر عمرك ! وما أصغر الحيز الذى تملؤه حياتك! إن أجلك محدود وأيامك معدودة ؛ إنها خالية من المتعة وأبغض من الموت الذى نمقته . ولكن البشر الزائلين يريدون أن يطاولوا السماء ويبلغوا السحب . أرأيت إلى أى حد يعبثون ؟ وإنهم عن مصيرهم غافلون ! » .

ومع ذلك تفيض بعض الإبجراماتا بالحكمة وتعبر عن استسلام الناس للقدر وتصف رضوخهم لما كتب عليهم ، ولكن تفكيرهم فى الموت كان يدفعهم أحياناً إلى الإنغماس فى ملذات الحياة الدنيا . فهذا أسكليباديس يلوم فتاة عنيدة ويقول لها :

فيم إهتمامك بأن تظلى عذراء ؟ وما جدواه ؟ فسوف لاتجدين عاشقا بعد المات ! لذا يجب أن تتمتعى ، فى هذه الدنيا ، بملذات أفروديتا لأننا سنصبح رماداً وعظاماً على شاطىء الآخرون[1] » .

---

(1) أحد أنهار العالم الآخر كان على الموتى أن يعبروه فى زورقهم ليصلوا الجحيم.

وفى إبجراما أخرى يناجى الشاعر نفسه قائلا : « لنشرب الخمر الصافى لأن نهارنا قصير ، لنشرب ، أيها العاشق المسكين ، فلم تبق لنا إلا أيام قلائل ننام بعدها نوماً طويلا » .

أما عن الحب فكان له النصيب الأكبر من الإبجراماتا إذ أن كثيراً منها كان يهدى إلى العاشقين والعاشقات تصف الجمال والسحر وتضطرم بلوعة الحب وتنم عن مآسيه .

ولقد نظم ثيوكريتوس من الإبجراماتا ثلاثين ، كان أغلبها مخصصاً لينقش على مقبرة أو على قاعدة تمثال ، وهى فى مجموعها ، مع ما فيها من جمال ، ليست فى روعة الأشعار الرعوية وهذه نماذج منها :

١ ــ رثاء للشاعر هيپوناكس[1] .

هنا يرقد هيپوناكس ، فإن كنت خبيثاً ، لا تقرب هذا المكان ، وإن كنت طيباً ، جئت من بلد طيب ، فرحباً بك ، اجلس مطمئنا ونم إذا شئت .

٢ ــ سارق العسل :

ذات يوم تسلل أروس اللعين إلى خلية نحل ليسرق أقراص العسل فلدغته نحلة فى يده ، وألحقت بأصابعه إصابة بالغة ، فأخذ ينفخ فى يده

(١) هجاء مشهور من أفسوس ، عاش فى منتصف القرن السادس ق . م ، ابتكر الوزن الإيامبي المسمى « سكادزون Skazon » ولقد أكثر شعراء الإسكندرية من استعماله فى قصائدهم .

ويصرخ ويصيح ، ثم أسرع إلى أمه ، أفروديتا ، وشكا إليها النحلة قائلا:
« كيف تستطيع هذه المخلوقة الصغيرة أن تلحق بى أذى كبيرا ؟ » .
فضحكت الإلاهة وقالت : « وفيم العجب ؟ ألا تسبب أنت أيضاً جراحا دامية رغم ضآلة جسمك ؟ » .

٣ — راع يبكى عنزته :

أى ثورسيس ، أيها البائس الحزين ! ما هذه الدموع التى تنهار من مقلتيك ! لقد رحلت عنزتك الصغيرة ، رحلت إلى العالم الآخر . لقد خطفها الذئب ، فنبحت الكلاب ، ولكن دون جدوى . لقد التهمها ولم يترك منها شيئا[1] .

٤ — نقش على قاعدة تمثال :

أى ربات الشعر ! لقد أقام لكن كسينوكليس تمثالا جميلا من الرخام، إنه موسيقار بارع ما فى ذلك شك ؛ لما بلغ ذروة المجد فى فنه لم ينس ربات الفنون .

---

(١) « لم يبق منها عظم ولا رماد » هذا معنى النص اليونانى الذى استخدمه الشاعر ليبين أن الذئب أكلها عن آخرها فلم يبق منها شىء (حتى العظام والرماد التى تبقى عادة بعد الموت) .

٤ — لغته وأسلوبه

رأينا أن أدباء الأسكندرية كانوا يهتمون بالأسلوب المنمق والعبارات الصعبة وبالألفاظ النادرة ، اعتمدوا على الزخرف الصناعى والتهذيب المسرف لكى يستروا ضعف موضوعاتهم ، كما اعتمدوا على المترادفات والأمثال والمركبات اللفظية ليظهروا حذلقتهم وتقعرهم ، واهتموا بالمحسنات اللفظية والتركيبات المعقدة والأساليب الغامضة ، مما جعل النقاد يتهمونهم بالتكلف الظاهر والصنعة التى ينفر منها الذوق الفنى .

فهل حذا ثيوكريتوس حذوهم ؟ وهل ينطبق رأى النقاد عليه ؟

لقد استخدم فى بعض قصائده الأسلوب القصصى ، وفى بعضها الأسلوب التمثيلى ، وفى البعض الآخر جمع بين الأسلوبين فى آن واحد .

نظم بعض القصائد فى قالب قصة ممتعة وعرضها بأسلوب طلى سلس ، يتخلله الوصف المسهب أحيانا والموجز أحيانا أخرى ، ولكنه فى الحالتين وصف شائق ، به استطراد وتطويل فى حادثة من حوادث القصة . وكتب بعض الموضوعات بأسلوب تمثيلى ووضعها فى قالب مسرحى ، واستخدم فيها أسلوبا مملوءاً بالحركة والحيوية ، واهتم فيها بتصوير الأشخاص وأنطقهم بما يعبر عن أعمالهم ويصور نفسيتهم . وقد لاقى

فى هذه القصائد صعوبة كبيرة خاصة فى القصائد الرعوية لأنه اهتم اهتماما شديداً بأن ينطق الرعاة بلغة بسيطة وألفاظ بدائية ، فابتعدوا كل البعد عن اللغة المنمقة والعبارات المهذبة لأنهم إن نطقوا بها أثاروا الضحك والسخرية ، ولكنه تنبه أيضا إلى تجنب اللغة العامية الصعبة. وكان الشـــاعر مغرما بالتكرار فى كل قصائده - تكرار الكلمات أو تكرار العبارات ، وفى بعض الأحيان تكرار بعض الأبيات ؛ وكان مولعا بذكر أسماء الأعلام بين حين وآخر لما لها من وقع جميل على الأذن ، أما تشبيهاته واستعاراته فكانت رائعة لأنه نقلها عن الطبيعة فكانت سهلة بديعــــة ، لا تشعرنا بأنه أقحمها فى غير مكانها واستخدمها دون حاجة إليها كما كان يفعل شعراء عصره . ومن تشبيهاته فى القصيدة الثامنة عشرة : « وقفنا — نحن نساء إسبرطه — نغنى عند بابك،يا هلينا، نتوق إلى رؤياك كما يتوق الحمل الصديان لضرع أمه» .[1] وكان ثيوكريتوس مغرماً بالحكم والأمثال ، فنرى أشخاصه يرددون الكثير منها فتعبر بدقة عما يريدون ومن هذه « لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحيـاة » ، « اليوم عابس وغدا باسم[2] » ، ويقول فى تهكم مرير بناكر الجميل : « لا تصنع المعروف فى غير أهله ! لا ترب الكلاب حتى لا تكبر فتنهش لحمك فى يوم من الأيام » .[3] ويقول فى

---

(١) القصيدة الثامنة عشرة : ٤٢ .

(٢) القصيدة الرابعة : ٤١-٤٢ .

(٣) القصيدة الخامسة : ٣٧-٣٨ .

إثارة الهمم : « الحاجة أم الاختراع[1] » ، « حاول أن تبلغ غايتك فلقد أخذ الإغريق طروادة بالمحاولة ، فما دمت قوى الإرادة ، فإنها تخلق لك مخرجا » .[2]

ورأينا أيضا أن أدباء العصر كانوا يميلون إلى استخدام لهجات متعددة ، وكانوا يستعملون فى القصيدة الواحدة كلمات فى لهجات مختلفة بعضها سهلة معروفة وبعضها صعبة غريبة ، وكانوا يتبارون ويتباهون باختراع كلمات وإيجاد مركبات غير مألوفة . وكانوا يميلون أيضاً إلى إحياء بعض الكلمات التى ندر ورودها فى أشعار هوميروس وهيسيودوس ، وكل ذلك رغبة فى التعقيد والإبهام والتصنع فى القول والتباهى بالعلم لدرجة أن بعض المتعلمين كانوا يعترفون بجهلهم ببعض الألفاظ التى وردت فى أعمال معاصريهم .

وكل هذه الخصائص تظهر فى ديوان ثيوكريتوس ، فلغته مزيج من اللهجات اليونانية ، أدخل عليها كلمات من ابتكاره لم تكن معروفة للشعراء السابقين أو المعاصرين فعندما يمدح فيلادلفوس فى القصيدة السابعة عشرة نجده يستخدم لغة هوميروس السامية ويستعمل للتعبير عن فكرة « الأحفـــاد » اصطلاحا يكاد لا يكون معروفا من قبل (nepodes) وهى كلمة لم ترد عند أى كاتب يونانى آخر بهذا المعنى ولكنها استخدمت مرات معدودة عند بعض الأدباء للدلالة على « فصيلة

---

(١) القصيدة الواحدة والعشرون : ١ .

(٢) القصيدة الخامسة والعشرون : ٦١ــ٦٢ .

من أنواع السمك » ، وفي القصيدة الثانية عشرة يطيب لشاعرنا أن يتحدث عن عاشقين يحب كل منهما الآخر حبا عظيما فيستخدم لفظين نادرين قلما وردا عند غيره من الشعراء فيسمى أحدهما (eispnelos) = محب ولهان والآخر (aitas) = حبيب عزيز . وكان ثيوكريتوس مولعا بالمركبات التي يكونها بعد أن يزيد على الكلمة مقطعاً أو حرف جر أو ظرفاً ، فتصبح جديدة في تركيبها وفي معناها ، كما أنه لم يتردد في استعمال كثير من العبارات الهومرية القديمة .

ولكن مثل هذه الاصطلاحات شيء نادر في ديوانه ، فمع أنه سار على نهج زملائه ، وجارى ذوقهم إلا أنه كان أقلهم صعوبة وأكثرهم وضوحاً وأقربهم إلى السهولة ، تتلوه فتعجبك سلاسته وتشعر بأنغامه العذبة وموسيقاه الشجية لأنها صدرت عن شاعر قدير ، أجمع النقاد على رقة أسلوبه ونقاء لغته وسهولة عبارته واعتبروه أفضل من جادت به مدرسة الأسكندرية ، وأحق من يذكر مع هوميروس وغيره من شعراء اليونان الخالدين[1] .

(١) Chopin (I) ; Thécrite, Paris, 1818, P. 1; cf., Ste. Beuve, Portraits Littéraires, T. III., p. 3.

الفصل الرابع

ثيوكريتوس ومقلدوه

١ — من اليونان

موسخوس وبيون شاعران ينتميان إلى مدرسة الإسكندرية ، عاشا بعد ثيوكريتوس بسنوات قليلة وقلدا أشعاره بل نقلا عنه كثيراً من الأبيات والعبارات فى نفس الموضوعات التى عالجها .

حقاً لقد قلد موسخوس قصائد ثيوكريتوس وحاول أن ينظم شعراً رائعاً مثل أستاذه الملهم ؛ ولكن كان هذا أمراً فوق طاقته فلم يستطع لا هو ولا غيره أن يبلغوا منه ما أرادوا .

ترك لنا موسخوس قصائد متعدده ، تهمنا منها يوروبا ، ورثاءبيون . لم يكن موسخوس فى إحداهما مبتكراً ولكنه كان مقلداً .

فعندما نظم «يوروبا» نقل عن قصيده ثيوكريتوس الثالثة عشرة « هولاس » . ولكن شتان بين الأصل وبين الصورة . فشعر موسخوس تغلب عليه الصنعه ويفتقر إلى الخيال الخصب والعواطف المتأججه . فبدا جامداً ، لا حياة فيه ولا إحساس . لقد حاكى الصورة التى رسمها ثيوكريتوس لهولاس ؛ فعند ما فتنت حوريات الماء بجماله وخطفنه ،

أخذ يصيح مناديا حبيبه بأعلى صوته ليأتى وينقذه . وبينما يظهر ثيوكريتوس براعة نادره فى تصويره لحزن الفتى المخطوف الذى حرم من حبيبه ، يفشل موسخوس فى تصوير شعور يوروپا عندما اعتلت ظهر الثور [1] الذى شق بها عباب البحر وحرمها من صويحباتها العزيزات . فتحزن يوروپا لهذا الفراق المر وتغتم وتولول ويطول نحيبها ويعلو صراخها ويشتد أنينها وتروى لنا حديثا طويلا مملا لأنها هولت فى تصوير عواطفها والتعبير عنهـا . فبدت متكلفه فى كلامها ، فاتره فى إحساسها .

أما قصيدته فى « رثاء بيون » فتعد أعظم قصائده وأروعها ، إذ تمتاز عنها كلها بمسحة من الحزن الجميل ، إن جاز أن يكون الحزن جميلا ؛ ساد روح القصيدة كلها فدلت عن صدق فى التعبير ودقة فى تصوير عاطفة الشاعر المـكلوم وقوة إحساسة المرهف . وموسخوس فى هذه المقطوعة ينقل عن استاذه بعض الأبيات ويردد عباراته التى وردت فى رثاء دافنس .

أما بيون فقد أعجب بثيوكريتوس أشد اعجاب وصرح فى إحدى قصائده بأنه مغرم بأشعار استاذه ، وهذه كلمات يستهل بها إحدى قصائده تثبت ما نقول : « أنشدن ياربات الشعر إحدى أغنيات الغرام

---

(١) فتن زيوس بجمال يوروپا (Europe) ابنة ملك صور وهام بها ، فتحول الى ثور أبيض وأخذ يلاطفها ويداعبها حتى قبلت الصعود فوق ظهره ، ثم انطلق بها عبر البحر وبلغ جزيرة كريت وهنـــاك أنجب منها مينوس ورادامانثس (Rhadamanthus)

التى تغنى فيها بولوفيموس على شاطىء البحر بحبيبته جالاتيا[1] ، وأهم مقطوعة فى ديوان بيون هى « رثاء أدونيس » ، قلد فيها الأنشودتين الواردتين فى القصيده الأولى والقصيده الخامسة عشره من أشعار الصقلى .

حقاً إن القصيدة تمتاز بما فيها من إحساس مرهف وعاطفه قوية لكنها مع ذلك لا تبلغ ما بلغته قصائد ثيوكريتوس من قوه الإنفعالات وعذوبة الأنغام كما شاهدنا فى قصيده سميثا . ورغم هذا فقد حوت قصيدة بيون بعض الفقرات الجميلة التى تظهر فيها روحه وتسيطر شخصيته . لقد ابتكر صورة حيه جادت بها قريحته للتعبير عن حب أفروديتا العظيم لأدونيس إذ وقعت فى غرام هذا الشاب الجميل وهامت به وفتنت بحسنه ، فلما مات أحست لوعة الفراق المريره وأفعم قلبها بحزن عميق نفست عنه بهذه الكلمات التى تخاطب بها الحبيب بعد موته : « أى أدونيس ! انهض لحظة واعطنى آخر قبله . قبلنى قبله طويل ؛ قبلنى حتى تلفظ فى أنفاسك الأخيرة حتى تنساب هذه الأنفاس فى دمى فارتشف من حنانك وارتوى بحبك »[2].

---

(١) الاشارة هنا إلى القصيدة الحادية عشرة من ديوان ثيوكريتوس .

(٢) رثاء أدونيس : ٤٢ـ٤٥ .

٢ — من الرومان

يعتبر الأدب الرومانى بفنونه المختلفة صورة منقولة عن الأدب اليونانى ولا يستثنى من ذلك إلا شعر الهجاء الذى ابتكره الرومان ولم يعرفه أدباء اليونان بالصورة التى اتخذها فى الأدب اللاتينى ، وبذلك يمكننا أن نفسر الصلة بين الأدبين الخالدين لأن الرومان ، فى أول عهدهم بالأدب ، اتخذوا من شعر الأغريق مثـــلا اتبعوه فى شكله ووزنه وموضوعه . وعندما كتبوا وخطبوا نقلوا أيضا عن أساتذتهم . فنقل ترنتيس وبلاوتس تمثيلياتهما الهزلية عن مننادروس وأخذ هوراس عن ألـكايوس وسافو ، وتأثر فرجيل وشيشرون وأوفيد تأثراً بالغا بمدرسة الإسكندرية ، ولا أدل على ذلك من تأثير ثيوكريتوس القوى على فرجيل .

بدأ هذا الشـــاعر حياته بدراسة الأدب اليونانى عامة وأدب الاسكندرية خاصة ، فتأثر بهذه المدرسة تأثراً بعيداً وتشربت روحه خصائصها التى بدت بوضوح فى أشعاره ولا سيما فى الأناشيد الرعوية التى امتلأت بالنقائص الفنية لأنه نظمها فى مستهل حياته . . وكان فى ذلك الوقت منكبا على قراءة المؤلفات التى خلفها أدباء الاسكندرية ، فأحب تجديداتهم اللغوية وصيغهم الشعرية وحاول أن يقلدهم ، فنظم

أشعاره الرعوية فكانت صورة مشوهة لأناشيد ثيوكريتوس ، لا يتلوها أحد إلا ويحكم عليها بالصنعة والتكلف ويصفها بالكآبة والجمود .

وليس هذا بغريب ، لأن الفرق عظيم بين من لجأ إلى الطبيعة فأخذ يتأملها لكي يجد فيها فرجة لهمومه وترويحا عن نفسه[1]، وبين من أحبها واستولت على مشاعره ، فلا شك أن تصوير الاثنين لها يختلف فى براعته ، وشعور كل منهما نحوها يتفاوت فى قوته ، وأكثر من ذلك أن ثيوكريتوس ، كما بينا من قبل ، وصف الطبيعة التى ولد فى ربوعها وتربى فى أكنافها ، أما فرجيل فقد وصف ما لم يره أو على الأقل مالم يتمتع بجماله أو يشعر بعاطفة نحوه ، فهو لا يصف طبيعة إيطاليا ولا ريف مانتوا[2] بل نقل مناظره عن ثيوكريتوس . فتحدث عن صقلية وينابيعها وجبالها ووهادها ، وصور نفس الشخصيات التى صورها أستاذه وردد أناشيده من غير أن تكون فى ذهنه صورة واضحة لما وصف ولا معنى دقيق للفن الذى قلده ، فمزج موضوعات الشعر الرعوى بغيرها مما لا يتصل بحياة الرعاة فى شىء ؛

---

(١) من يدرس حياة فرجيل يعرف أنه كان ، فى ذلك الوقت ، ساخطا على الحالة الاجتماعية ناقما على حظه ، ثائراً لما حل به من متاعب نتيجة للحروب الأهلية فانكب على نظم الشعر لينفس همومه .

(٢) إحدى مقاطعات جاليا كسألبينا فى شمال إيطاليا ، امتازت بجمال الطبيعة وسحر المناظر ، ولد فرجيل بالقرب منها ونشأ فيها فكان يجدر به أن يصفها ويتغنى بحسنها .

فهؤلاء يتكلمون ، فى أناشيده ، عن الجغرافيا ويتحدثون فى السياسة ويبحثون فى الدين ، يتباهون بمعلوماتهم حتى أن بعض النقاد وصفوا ڤرجيل « بأنه كان متصنعا أكثر من شعراء الاسكندرية أنفسهم » ، وهذا صحيح لأن قصـــائده الرعوية امتلأت بالنظريات الفلسفية والأساطير القديمة والاصطلاحات العلمية والتشبيهات المعقدة ، وهذا كله لا يمت بأية صلة للشعر الرعوى الذى ابتكره ثيوكريتوس .

ومن النقاد من يتحيزون لڤرجيل ويعتقدون ان « رعوياته » لم تبلغ من التكلف درجة تدعو إلى النقد اللاذع بل ويذهبون فى تحيزهم إلى القول بأن هذه الأشعار لها روعتها ومنزلتها الفنية ، ومايدفعهم إلى التمسك برأيهم هذا إلا أن ڤرجيل شاعر عبقرى وأديب موهوب نظم أشعاراً رائعة[1] . وهذا صحيح ، ولكن الذى لا شك فيه أيضاً أن ثيوكريتوس ، خالق شعر الرعاه ، قد فاق ڤرجيل وان كان هذا أذيع منه صيتنا فى تاريخ الأدب . وما فى استطاعة أحد أن ينكر أنه فشل فى تقليد استاذه وان بعض مقطوعاته ما هى إلا ترجمة حرفيه لأناشيد الشاعر الصقلى ، بل وأنه لم يوفق فى الترجمة إذ وردت عنده أخطاء تدل على أنة لم يفهم بعض المعانى التى ابتدعها ثيوكريتوس ، ولقد امتاز عليه الأخير بلغته البسيطه وحيويته العجيبه و بساطته الجميله وصدق تعبيره ، ولذا كلما قورنت أشعار ڤرجيل بأناشيد استاذه قيل « إن بها صنعة وصياغه ، لا حياة فيها ولا جمال » فكانت مثلا

(١) الاشارة هنا إلى ملحمته الخالدة « الإنياده » ، وأناشيده عن الفلاحة « جيورجيكا » .

رديئا تأثر به الشعراء من بعد ڤرجيل ؛ فملئوا كتب الأدب بقصائد رعوية مملة سقيمة ، وأقحموا الرعاة فى كل مسألة وجعلوهم يتناقشون فى كل موضوع اجتماعى كان أم فلسفى أم دينى مما لا يفهم فيه الرعاة الحقيقيون شيئاً ، فكانت أشعارهم ركيكة جافة .

وهكذا كانت أناشيد ثيوكريتوس الرعوية آخر القصائد الرائعة التى تغنت بها ربات الشعر ، حققت لشاعرنا شهرة واسعة وخلوداً أبدياً ، ابتكرها صاحبها وابدع فى نظمها ووصل بها إلى ذروة الكمال ، فلم يترك لأحد ممن خلفوه مجالا لأى تحسين أو تجديد .

جاء بعده موسخوس وبيون فقلداه دون نجاح ، وجاء من بعدهما ڤرجيل الذى اهتم بالصقل والتهذيب فافقدالشعر بهجته وطلاوته ، وجاء من بعده كالپورنيس ونمسيانس ، ومن بعدهما تعدد الشعراء منذ عصر النهضة ، كل منهم ينقل عن سابقه . فأصبحت أشعارهم كلها صورة ممسوخة مشوهة لا تشبه الأصل فى شيء . ولهذا أجمع النقاد كلهم — القدماء منهم والمحدثون — على أن ثيوكريتوس الألف والياء فى الشعر الرعوى لأنه نظم قصائد تمتاز بما فيها من تصوير صادق وخيال خصب وغناء عذب وموسيقى ساحرة[1] .

---

(١) كان ثيوكريتوس أول من ابتكر شعر الرعاة كفن مستقل فى الأدب اليونانى لأننا لا نعرف شاعراً واحداً نظم قصائد بأكملها فى التغنى بالطبيعة ووصف حياة الرعاة ، أما عن «المواويل» الريفية التى كانت تغنى فى صقلية أو التراتيل الدينية التى كانت تنشد فى اسپرطة تمجيداً للإله پان فقد ثبت بصورة قاطعة أنها كانت بدائية

الفصل الخامس

نماذج من الشعر

١ - من ثيوكريتوس

هذه مختارات من أنواع الشعر التى نظمها شاعرنا : أناشيد الرعاة والغزل والملاحم ، وقد اخترنا هذه المقطوعات من قصائده التى أجمع النقاد على أنها أروع ما جاد به عصر الإسكندرية .

وبعض هذه المنتجات تهمنا لأنها تذكرنا بتاريخنا المجيد ، يوم أن كانت مصر صاحبة السلطان وباعثة الحضارة ، لعل هذه الذكرى تدفعنا

= غير منظومة لا تعالج نفس الموضوعات التى تناولها الشاعر فى قصائده ؛ انظر المؤرخ أثنايوس ، فصل ١٤ ، ٣٢ ؛ قارن Kynaston; p. 15

أما الفقرات التى وردت عرضا عن وصف الطبيعه عند هوميروس أو عند غيره من الشعراء فلا تمت إلى أناشيد الرعاة بصلة لافى موضعها ولافى الغرض منها، لهذا يعتبر ثيوكريتوس أول من ابتكر هذا الشعر وجعله فنا مستقلا نظم فيه قصائد بأكلها تسمى (eidullia) مفردها (eidullion) ومعناها مقطوعة قصيرة ابتكرها ثيوكريتوس يصف فيها منظراً طبيعياً أو جانبا من حياة الرعاه والريفيين ، وبلغ بها حد الكمال فاستحق ثناء النقاد أجمعين أنظر ، Chopin. p, 9 حيث يقول :
C'est à Théocrite surtout que le paststoral dut son existence; la perfection à la quelle cet auteur le porta fit oublier tous les essais faits avant lui.

إلى العمل فى عزم صادق على أن نستعيد مجدنا السابق وعزنا القديم . . .
وموضوعات البعض الآخر تلائم الذوق الشرقى ، فالقارىء العربى عاطفى بطبعه ، محب للطبيعة ، يكثر التأمل فيها ويطيل التفكير فى خالقها ، وهو زراعى أيضا ، يحب الحياة الريفية الهادئة وكل ما يتصل بها من أسباب . وهذه المختارات تصف كل ذلك وتتناوله بطريقة ممتعة جذابة .

ولقد ترجمنا بعض المقطوعات من شعر مقلديه حتى يدرك القارىء الفرق بين عبقرية مبتكرة وبين تقليد مصطنع .

ولقد استبعدنا من هذه القصائد الفقرات التى كان الشعراء يتعمدون فيها الإلغاز ويشيعون فيها الغموض والتعقيد ، واكتفينا بترجمة المقطوعات العاطفية الرقيقة التى يجد فيها القارىء متعة . والتزمنا أن تكون الترجمة أمينة حرفية ما وسعنا ذلك إلا إذا اضطرتنا العبارة العربية إلى تصرف يسير أشرنا إليه فى الهوامش .

١ — دافنس[1]

كان دافنس رائع الجمال ، فتن بحسنه الخلائق كلها ،ولم تنج أفروديتا نفسها من الافتتان بجماله ، فأحبته . ولكنه لم يبادلها حباً بحب ، فثارت ثائرتها وفكرت فى الانتقام ثم سددت إليه سهما من سهامها التى تمزق شغاف القلوب وتنفذ إلى الأعماق ، وجعلته يجن بفتاة أخرى ، ولكن سرعان ما تدبر دافنس الأمر وحكم العقل وأقسم ألا يستسلم لسلطان الحب . فكبت عاطفته القوية وأخفى حبه حتى أصابه الضنى وذوى عوده ومات .

والشاعر يرثيه فى هذه الأبيات ويصور هول الفجيعة فيه وحزن الطبيعة عليه .

* * *

٦٤ — ٨٢[2]

أى صديقاتى ربات الشعر ! هلم لكن ! ابدأن أناشيد الريف .

---

(١) هو المثل الأعلى للرعاة عند اليونان القدماء ، اشتهر بجماله وعزفه على الناى الذى تعلمه عن پان .

(٢) هذه الأعداد تشير إلى ترقيم الأبيات وفقاً لأحدث وأدق طبعتين لديوان ثيوكريتوس ، وهما طبعة « الآداب الجميلة » التى نشرها ف . لجران (Ph. Legrand) ، وطبعة كمبردج التى نشرها س. جاو S. Gow ؛ انظر قائمة المراجع .

أنا ثورسيس ذو الصوت الرخيم
خبرنى أين كنتن عندما ذاب دافنس حسرة ومات .
أين كنتن أيتها العرائس ؟
أفى وادى پنيوس[1] الجميل ؟ أم على قمة پندس[2] ؟
لقد هجرتن أمواج الأنپس[3] وقلة أتنا[4] ومياه أكيس[5] المقدسـة .
أى صديقاتى ربات الشعر ! هلم لكن !! ابدأن أناشيد الريف !

* * *

مات دافنس فبكته الوحوش جميعاً ؛
بكته الأسود وبكته الذئاب وبكته الثعالب.
أى صديقاتى ربات الشعر ! هلم لكن ! ابدأن أناشيد الريف !

* * *

وجاءت قطعان كبيرة من الأبقار والثيران
وجاءت جموع غفيرة من صغارها بين ذكور وإناث
جاءت تبكى عند قدميه وتنتحب
أى صديقاتى ربات الشعر ! هلم لكن !! ابدأن أناشيد الريف !

* * *

---

(١) نهر فى تساليا .
(٢) سلسلة جبال فى تساليا .
(٣) نهر بالقرب من مدينة سيراكوز عاصمة صقليه .
(٤) جبل مشهور فى صقلية .
(٥) نهر ينبع من جبل إتنا .

وأقبل هرميس[1] أول الحاضرين ، أقبل من التلال النائية وقال:
« دافنس ! ما دهـــاك ؟ وما أصـــابك ؟
من ذا الذى فتنـــك ؟ ومن سلب فؤادك ؟
أى صديقاتى ربات الشعر ! هلم لكن ! ابدأن أناشيد الريف !

* * *

وجاء الرعاة ،
جاءوا كلهم يتساءلون عما حل بدافنس من سوء
وجاء پرياپوس[2] وقال :
« دافنس ما أشجاك ، أيها المسكين ؟ »
أى صديقاتى ربات الشعر ! هلم لكن ! ابدأن أناشيد الريف !

* * *

٩٥ — ١٠٤
كذلك أقبلت افروديتا الفاتنة تبتسم فى خبث ودهاء
ثم قالت وقد تملكها غضب شديد :
« لقد زعمتَ يا دافنس انك تقهر الحب . أرأيت كيف قهرك بسلطانه ؟ »
أى صديقاتى ربات الشعر ! هلم لكن ! ابدأن أناشيد الريف ؟

* * *

فأجابها بقوله :
« أفروديتا أيتها البغيضة ! يا مثار السخط من الناس أجمعين ! »

---

(١) رسول الآلهة .
(٢) إله الاخصاب والمتعة الجنسية .

« أتظنين أن شمسى قد غابت ؟ »

« لا ! إن دافنس سيذيق إله الحب مر العذاب حتى فى عالم الموتى. »

أى صديقاتى ربات الشعر ! هلم لكن ! ابدأن أناشيد الريف !

* * *

١١٥ — ١٢٧

وداعا أيها الينبوع ! وداعا أيتها الأنهـــــار التى تحمل ماءها العذب إلى البحر العظيم

وداعاً يا ذئاب الجبال ! وداعاً أيتها الدببة ! وداعاً يا بنات آوى !

إن صديقكم الراعى لن يتردد بعد اليوم على الغابات

ولن يرتاد الأحراش ولا الأدغال .

أى صديقاتى ربات الشعر ! هلم لكن ! ابدأن أناشيد الريف !

* * *

أنا دافنس الذى كان يرعى بقراته هنا

والذى كان يورد ثيرانه المـاء فى هذه البقاع

أيا ربات الشعر ! أوقفن هذه الأناشيد واغربن عن هذا المكان !

« پان » يا إله الرعاة ! هاك مزمارى يكسوه الشمع ،

خذه ، فإن صوته صاف رنان

خذه فقد حال الموت بينى وبينه

أيا ربات الشعر ! أوقفن هذه الأناشيد واغربن عن هذا المكان !

١٣٢—١٣٦

ألا فلتنعكس الآيات ما دام دافنس قد مات !

فلينبت العليق نرجسا و بنفسجاً

وليتفتح شجر الياسمين عن شوك وعوسج

ولتثمر شجرة الصنوبر كمثرى

وليطارد الظبي كلابَ الصيد

ولتنافس بومة الجبل العندليبَ فى الغناء

أيا ربات الشعر ! أوقفن هذه الأناشيد واغربن عن هذا المكان !

* * *

١٣٧—١٤٠

ولما انتهى كلامه وطال صمته ، خفت افروديتا لإنقاذه

ولكن هيهات ! لقد حم القضاء ، لقد مضى دافنس إلى نهر الموت ،

فطواه بين أمواجه

هكذا مات دافنس رفيق ربات الشعر وحبيبهن

أيا ربات الشعر ! أوقفن هذه الأناشيد واغربن عن هذا المكان !

٢ - پولوفيموس[1]

كان ثيوكريتوس ، كغيره من شعراء الاسكندرية ، يؤمن إيمانا قويا بسلطان الحب ويعتقد أنه قادر على تغيير الشخص تغييراً تاما ، وتأييداً لهذه الفكرة أراد الشاعر أن يخلق من « پولوفيموس » إنساناً نبيلا مستعداً للتضحية بنفسه وماله استرضاء لحبيبته جالاتيا .

وها نحن امام عاشــــق يتغنى بمعبودته ، يخاطبها بأرق العبارات وأعذب الكلمات بعد أن كان فى أشعار هوميروس وحشا بشعا يتغذى بلحم البشر ويرتوى بدمه .

* * *

١ - ٦٦

أيا صديق نيكياس ! ليس للحب دواء، إنه داء الأدواء ، لا يجدى فيه علاج .
لكن ربات الشعر وحدهن قادرات على إبراء العاشق وشفائه ، فالشعر هو الدواء ؛ إنه حلو ولكن أنى المنال ؟

---

(١) زعيم المخلوقات الخرافية المعروفة باسم كوكلوبيس (Kuklopes) ، وهم عمالقة متوحشون كانوا يعيشون فى جزيرة صقلية على لحم البشر ، وكان لكل منهم عين واحدة مستديرة فى وسط رأسه ، ومن هنا جاءت تسميتهم فى اليونانية وتعنى « ذوات العين المستديرة » .

وأظنك لا تجهل هذا ، فأنت طبيب وأنت شاعر .

ألم يكن الشعر بلسما شافيا لجراح پولوفيموس لما فتن فى ريعان شبابه بعروس البحر جالاتيا ؟

لقد أحبها حباً عنيفا ، حبا أسمى من حب الذين يتبادلون فى عشقهم الورود أو التفاح أو خصل الشعر .

كان حبا أجل وأرفع ، كان أشبه بالجنون ، فأذهـــله عما سواه وأنساه إلاه كم ذا غفل پولوفيموس عن أغنامه، فتخلت عن المرعى الأخضر النضر ، وعادت وحدها إلى حظائرها ؟

بينما جلس صاحبها على الشاطىء ، يغنى الساعات الطوال لحبيبته ، من مطلع الفجر ، يغنى وقلبه يدمى من جرح سهام أفروديتيا .

وأخيراً عثر پولوفيموس على الدواء ، فاتخذ لنفسه صخرة عالية تطل

على الشاطىء ، علاها ليردد بصره فى صفحة المـاء هاتفاً :

أى جالاتيا ! يا أنصع بياضا من اللبن وأروع روعة من الحمل وأخف حركة من الظبي وألمع بريقا من عناقيد العنب !

لم لا تلدين بهذا المكان إلا إذا كنت فى سباتى العميق ؟ حتى إذا ما أفقت تلمستك فلا أجدك

لم تفرين ؟ إنك فى هربك أسرع من الشاة حين تبصر الذئب مقتربا .
لقد أحببتك يوم جئت ، مع أمى ، إلى الجبل تقطفين أزهار الزنبق،

رأيتك فأحببتك لأول نظرة ، ومنذ ذاك وأنا لا أقوى على هذا
الحب العنيف.

أما أنت فلاهية ، لا تحفلين بأمرى .

ولكننى ،يا حبيبتى، أدرك سبب إعراضك ، وأعرف سر نفورك ؛
إن صورتى قبيحة ؛ فحاجبى كث عريض يمتد على طول جبهتى ،
وليست لى إلا عين واحدة وأنف مفلطح غليظ ؛
ولكن لا تنسى أن أغنامى عديدة وفيرة الإنتاج ، لبنها شهى وجبنها
حلو غذى لا ينقطع صيفا ولا شتاء
وفوق ذلك فأنا بارع فى الغناء أجيد الإنشاد وأتقنه وأتفوق فيه على أقرانى؛
وفى سكون الليل أتغنى بك دائما ، يا حبيبتى ، يا تفاحتى الغالية !!
عندى عشرة ظباء وظبى ، على جباهها أهلة ، ولدى أربعة ذئاب ،
أربيها لأقدمها لك .
أتركى البحر إذن وتعالى ؛ فلسوف تكونين إلى جانبى أوفر حظا
وأسعد حالا !

سنقضى ليلا جميلا فى كوخى تحوطنا أشجار الغار والسرو ويتعانق
أمامنا اللبلاب القاتم مع الكرم العاطر ، لنشرب من ماء بارد ،
يتدفق من الثلوج على جبال إتنا ذات الأشجار العالية .

هل هناك ، بربك ، من يفضل البحر وأمواجه على هذا النعيم ؟

وإذا كنت أبدو لك قبيحا ، ذا شعر كثيف ، فعندى أكوام من
أخشاب البلوط ، وتحت الرماد نار لا تخمد .

وسوف أرضى أن تحرقيني بيدك بل أرضى أن تحرقى روحى نفسها وعينى الوحيده التى أعزها فوق كل ما أملك.

واحسرتاه ! لم لمْ يخلق لى زعانف أغوص بها وراءك وألحق بك لألثم يدك إذا رفضت أن ألثم فاك ، ولأقدم لك باقات الزهر الباسم وأكاليل الورد الأحمر ؟

سأتعلم السباحة ، يا قرة العين ، وإذا أتانى بحار بسفنه رجوته أن يعلمنى كيف أغوص إلى قاع البحر حتى أعرف لم تحبين العيش فيه .

أى جالاتيا تعالى إلىّ ، واتركى البحر !

فانك إن جئت لن تعودى إليه أبدا ، ستفضلين البقاء معى نرعى غنمنا ، نحلب لبنها ونتخذ منه جبنا شهيا وطعاما غذيا .

* * *

٣ ـــ مباراة بين غنام ومعاز

كانت المباريات الغنائية من ابتكار ثيوكريتوس ، ابتدعها واكثر من نظمها حتى وصل بها إلى حد الكمال وجعلها فرعاً مستقلا من فروع الأدب اليونانى .

وهذه المباريات قاصرة على القصائد الرعوية ولا نجدها فى فنون الشعر الأخرى ؛ وكانت القاعدة فيها أن يرد المغنى الثانى على زميله بأبيات يشترط أن يكون عددها مساوياً للابيات التى ينشدها منافسه ، وأن تكون فى نفس الموضوع الذى تغنى فيه وعلى نفس الوزن . ويحاول كل منهما أثناء المباراة أن يتفوق على زميله بقوة التعبير ومتانته ليأمر له الحكم بجائزة كان يتفق عليها المتباريان قبل الإنشاد ، وهذه الجائزة كانت فى أغلب الأحيان حملا أو شاة .

وهذا النوع من الشعر يذكرنا بما يعرف فى الأدب العربى باسم «النقائض» ، غير أن هذه الأشعار التى نترجمها هى من نظم ثيوكريتوس نفسه ، أنطق بها المتبارين . على نحو ما نجد فيما حفظت لنا الكتب العربية نثراً من بعض المناظرات التى يجريها المؤلف بين السيف والقلم مثلا ، أو بين الربيع والخريف .

* * *

لا كون الغنام وكوماتاس المعاز يتباريان، وقد نصبا مورسون، الحطاب حكما للمباراة.

٦٠ — ٧٧

لا كون : اقترب من الأشجار وابدأ نشيدك الرعوى . من سيحكم بيننا ؟ خبرنى من تريد ؟ ليت لوكوپاس الراعى كان معنا !

كوماتاس : أنا لا أرضى به حكما ! فلندع ، إن شئت، مورسون الحطاب

لا كون : فلنستدعه !

كوماتاس : ناده أنت !

لا كون : أيها الرفيق ! تعال واصغ إلينا حينا . واحكم أينا أقدر على الغناء الرعوى !

(عندئذ يقترب مورسون) أعدل بيننا، أيها الفاضل ، فلا تجاملنى ولا تثن عليه .

كوماتاس : أيها العزيز مورسون ! استحلفك بحوريات الماء ألا تتحيز لى وألا تجامل لا كون . إن هذا القطيع ملك لسيبورتاس .

لا كون : يا إلهى ! من سألك أيها اللئيم إن كان القطيع لى أو لسيبورتاس . ما أكثر هذرك ؟

كوماتاس : (متهكما) : يا أفضل الناس ! إننى لا أقول إلا الصدق ولا أحيد عنه ، أما أنت فكذاب أشر .

لا كون : (متهكما) تعال وقل ما شئت !

عندئذ يبدأ النشيد . .

٨٠ — ٨٦

كوماتاس : إن ربات الشعر تحبنى أكثر مما كانت تحب دافنس ولذا قدمت لها عنزتين .

لاكون : إن ابوللون يحبنى حباً عظيما ولذا عندى له كبش جميل سأنحره فى عيده القادم .

كوماتاس : كل عنزة من عنزاتى وراءها توأمان؛لذا تقول حبيبتى عندما ترانى أحلبها : « ما أشقاك ! أتقوم وحدك بهذا العمل ؟ » .

لاكون : دعنا من أحزانك! أنا لاكون! عندى جبن يكاد يملأ عشرين سلة ؛ أنا لاكون الذى يتريض مع حبيبته بين الأزهار والرياحين .

كوماتاس : إن كلا ريستا تداعب الراعى وترميه بالتفاح وهو يسوق عنزاته كيما يعود ويقبل فاها .

وهكذا يستمران فى المساجلة التى تشتد شيئاً فشيئاً .

١٢٠ - ١٢٩

كوماتاس : أيا مورسون ! ألست ترى صاحبنا قد غضب وثار ؟

لاكون : أيا مورسون ! ألست ترى أننى قد أثرت غيظه ؟

كوماتاس : ليت النهر يفيض لبنا ، وليت الينبوع يتفجر خمراً ، وليت الغاب يحمل ثمرا !

لا كـون : ليت العسل الرضاب ينبثق من الينبوع لتملأ صديقى جرتها شهداً !

كوماتاس : إن عنزاتى تأكل الأعشاب وتنتقل بين الحشائش النضرة وتنام فى ظل الشجيرات المورقة .

لا كـون : ولكن أغنامى ترتع بين الورود وتأكل الأزهار .

وبعد ذلك يصدر مورسون حكمه ويعلن تفوق كوماتاس ويقدم له الحمل .

١٣٨ — ١٤٠

مورسون : أيها الراعى ، كفاك غناء !

وأنت يا كوماتاس ! خذ الحمل ولا تنس نصيبى منه عندما تقدمه لربات الشعر الفاتنات .

٤ — الســـاحرة ...

أحبت سميثا عاشقها من كل قلبها ، وفتنت به ، ولكن هذا العاشق
الغادر هجرها بعد أن أغراها وغرر بها . ونال منها بغيته
وها هي ذى تروى قصتها للقمر [1].

٧٠ — ١٢٢

أيها القمر المقدس ! سأروى لك قصة حبي من أولها .

كانت ثراسا ، مربية ثيوكاريداس ، جارة لى ، جاءتنى ، طاب مثواها ، ذات يوم ، وأخذت تلح على فى أن أخرج معها لأشاهد احتفال الإلاهة أرتميس ، فأجبتها إلى ما طلبت ، ولسوء طالعى تبعت خطاها وأنا ألبس ثوبا حريريا فضفاضا ، من فوقه عباءة .

أيها القمر المقدس ! سأروى لك قصة حبي من أولها .

فما أن بلغت منتصف الطريق حيث تقع دار لوكون حتى شاهدت دلفيس وزميله يغادران الملعب ، لكل منهما لحية أشد من اللبلاب شقرة ، وصدراً ، أكثر منك بريقا ولألاء ، أيها القمر .

---

(١) اعتادت الساحرات فى بعض بلاد اليونان عمل السحر فى الليالى التى يضىء فيها القمر ، صديق العشاق ، لأن ضوءه كان يجعل للسحر نتيجة فعالة .

ما أتعسني ! وما أشقاني ! فما أن رأيت دلفيس حتى فتنت بجماله.
فيا له من قضاء مبرم !

لقد تخاذلت واضطرب قلبي وشحب لوني وغاضت حمرتي.

فلم أر من الاحتفال شيئا، ولم أدر كيف رجعت إلى منزلي. وإذا حمى قاسية تعتريني ألزمتني الفراش عشرة أيام وعشر ليال.

وغاضت نضرتي وتساقط شعر رأسي وأصبحت شبحاً نحيلا؛ لم أترك في المدينة ساحراً إلا طرقت بابه، ولا عرافة إلا زرت دارها. وضاع تعبي هباء. ومرت الأيام وكرت الليالي وأنا فيما أعاني؛ وأخيراً أطلعت خادمتي على حالي. وبحت لها بسرى ورجوتها قائلة:

« التمسي لي دواء؛ إن دلفيس – واأسفاه – قد ذهب بلبي، فاذهبي انتظريه عند الملعب حيث يكثر تردده ويطيب له قضاء الوقت. فإذا ما انفردت به قدمي له التحية وبلغيه أن سميثا تدعوه واحضريه معك». فأطاعت ومضت ثم عادت ومعها دلفيس وضاء الجبين، وما أن أحسست وقع خطاه الخفيفة على عتبة الباب حتى برد جسمي وتجمد وكأنه الثلج. وتصبب العرق من جبيني كقطر الندى، وانعقد لساني فلم أنطق بكلمة، ثم اقشعر بدني وارتجفت كدمية من الشمع. فنظر إلى القاسي وغض الطرف ثم جلس إلى جانبي على السرير وقال:

« إنك يا سميثا حين أرسلت في طلبي، فعلت ما كنت أفكر فيه وأتوق إليه. أقسم، بإله الحب، أني كنت بلا شك آتيا إليك

بمحض إرادتى ، مع صديقين أو ثلاثة ، ومعى تفاحات ديونوسوس[1] وعلى رأسى إكليل من الغـــار الأبيض ، قد طوق بأشرطة أرجوانية .

١٣٠ — ١٦٢

شكراً لك ، يا أفروديتا ، أولا ولك ، ياسميثا ، من بعدها . فأنت إذ أرسلت فى طلبى أنقذت صبياً كادت تحرقه نار الحب . أو ليست نار أروس أشد خطراً من حمم هيفاً يستوس[2] فى لپارا ؟ أوليس أروس إله الشهوات الجنونية ؟ إنه يخرج العذراء من غرفتها ويجعل العروس تهجر فراش زوجها !!

فما أتم قوله حتى صدقته ووثقت به . فأمسكت بيده وطلبت إليه أن يستلق على الفراش الوثير ، فتلاصق الجسدان وتماست الوجنات وعادت إليها نضرتها ، وتهامسنا وتناجينا . ولا أطيل عليك ، أيها القمر العزيز ، لقد قضى الأمر واستسلمنا لشهوتنا وكان ما كان .

وحتى أمس كنا على وفاق ، كنت راضية عنه وكان راضياً عنى ،

---

(١) وفقاً للروايات التى انتشرت فى عصر الاسكندرية كان إكليل ديونوسوس يصنع من أغصان تزين بتفاحات من شأنها أن تشعل نار الحب فى القلوب .

(٢) إله الحدادة الذى كان يصنع الأدوات الحربية لسكان الأولومبوس ، وقد اشتهر مصنعه بحرارة كوره ، وكان يقع هذا المصنع ، فيما يقال ، بجزيرة لپارا بالقرب من صقلية .

أما اليوم فقد جاءتنى جارتى فى الصباح واخبرتنى أن دلفيس وقع فى شباك حب جديد وقالت :

« إنها هذه المرة ليست واثقة إنِ كان مغرماً بفتى أو بفتاة ولكنه على أى حال يحب حبيباً غيرى » .

هذا قولها ، ولا شك فى صدقها لأنه اعتاد ، فيما مضى ، أن يزورنى ثلاث مرات أو أربعاً كل يوم ، أما الآن فقد مر إثنا عشر يوما لم أره خلالها ، أليس ذلك دليلا على انغماسه فى شهوات أخرى ونسيانه إياى ؟

لذلك سوف أفزع إلى السحر لأقيده وأغله ، وإذا ما هجرنى ثانية فسوف ابعث به إلى عالم الموتى ، فالشراب السام الذى احتفظ به فى خزانتى يمكننى من ذلك ، وطرق السحر التى علمنى إياها أحد الآشوريين كفيلة بتحقيق بغيتى .

سلام عليك ، أيها القمر العظيم ، اذهب بخيلك نحو المحيط ، أما أنا فسأعانى آلام حبى كما تحملتها حتى الآن .

سلام عليك ، أيها القمر المنير ، سلام عليك أيتها النجوم !!

٥ — هولاس[1]

أحب هيراكليس تلميذه هولاس ، وكان الفتى يبادله حباً بحب ، ولايفارقه أبدا ، يتبعه أينما ذهب ويرافقه فى كل أسفاره ، صحبه فى رحلة السفينة أرجو[2] . وفى ليلة رست السفينة ونزل بحارتها ليطعموا عشاءهم ؛ فذهب هولاس يبحث عن ينبوع ماء . وهناك رأته حوريات الماء وفتن بجماله . ولما اقترب هولاس من العين ليملأ إناءه ، اختطفته العرائس ؛ وانتظر العاشق عودة الغلام فى قلق واضطراب. وطال انتظاره دون جدوى ، وأخيرا قام فى ثورة جامحة يبحث عن حبيبه هنا وهناك ولكنه لم يهتد إليه ولم يعرف له مكاناً .

والشاعر فى هذه القصيدة يصف لنا الحب البالغ ويصور لنا بطل الأبطال فى حالة يرثى لها ، لايستطيع أن يقاوم هذه العاطفة الجارفة التى دفعته إلى أن ينسى كل مجد ويغفل كل عظمة ولايهتم إلا بالعثور على حبيبه .

* * *

١ — ٩

إن الحب لم يخلق لنا وحدنا ، يانكياس ، فليس الإحساس بالجمال

(١) هو أحد الغلمان الذين أحبهم هيراكليس ، اشتهر بجماله الرائع وبمنزلته الممتازة عند سيد الأبطال الذى عنى بتربيته كما لو كان ابناً من أبنائه .

(٢) تعد قصة السفينة أرجو من أهم الموضوعات التى تغنى بها شعراء اليونان وكتابهم منذ أقدم العصور ، انظر : هوميروس : الأوديسا : ١٢ ، ٦٩-٧٢ .

وقفاً على البشر . إن ابن أمفتريون[1] نفسه ، صاحب القلب الحديدى ، الذى لم يتقهقر أمام أسد نميا[2] ، قد وقع فى شراك هولاس ، الصبى الرشيق ، ذى الشعر الذهبى الطويل ، وعلمه كما يعلم الأب ابنه كل ما كان قد تعلم من فنون الشجاعة ليصبح جديرا بأن يتغنى به .

١٤ — ٢٤ .

لم يفترقا ، وكان يقضيان الوقت كله معاً لأن هيراكليس كان يرغب فى أن يربى الصبى وفق هواه حتى يراه فى نهاية الأمر رجلا كاملا .

ولما عزم ياسون على أن يرحل للبحث عن الفروة الذهبية ، أخذ من المدائن خير رجالها ليرافقوه ويساعدوه ، وجاء معه الرجل الذى لا يكل ، ابن البطلة ألكمينا ، وأبحر معه هولاس على السفينة أرجو ، المتينة المقاعد وهى تمخر البحر العريض ، فى سرعة النسر الخفيف .

٢٥ — ٦٠

وأزمعت هذه الصفوة من أبطال اليونان على الإبحار مع طلائع الربيع ، فأخذوا مكانهم فى السفينة ذات الجوانب المحنية ، ودفعتهم ريح

---

(١) زوج ألكمينا أم هيراكليس ، ويعد فى بعض الروايات أباً لهذا البطل ، ولكن الأساطير الموثوق بها تؤكد أن هيراكليس كان ابناً لزيوس من ألكمينا ، وان الذى رباه هو أمفتريون زوج أمه .

(٢) الإشارة هنا إلى أحد أعمال هيراكليس الخارقة ألا وهو انتصاره على الأسد الذى كان يعيش فى أحراش « نميا » إحدى مقاطعات أرجوس . فبعد أن افترس هذا الوحش الضارى كثيراً من السكان وفتك بماشيتهم وخرب مزارعهم ، استطاع البطل أن يقتله ويتخذ من جلده لباساً يميزه ويرمز إلى شجاعته .

الجنوب ثلاثة أيام حتى وصلوا إلى الهيليسپونتوس[1] فأرسوا مركبهم فى البروپنتس[2]، ونزلوا إلى الشاطىء ليتناولوا عشاءهم . واجتمع نفر منهم واتخذوا من أعشاب المرج الأخضر بساطا يجلسون كلهم عليه .

وذهب هولاس الأشقر يبحث عن الماء لهيراكليس وتلامون[3] الصنديد ، وقد اعتادا أن يتناولا الطعام على مائدة واحدة ؛ ذهب الصبى بإناء برنزى، وسرعان ماوقع بصره على ينبوع نبتت حوله أعشاب الخطاف الأزرق والكوزبره النضره والبقدونس المزهر ؛ وكانت الحوريات ، يونيكا ومالس ونوكيا ، يرقصن بعيونهن الزرق التى لاتغفو ولاتنام . فلما اقترب الصبى من الماء بانائه الكبير ليملأه ، تعلقت به ثلاثتهن وقد خفقت قلوبهن الرقيقة بحب الفتى ، فهوى فجأة فى الماء كما يهوى النجم اللامع من السماء .

وتلقت العرائس الصبى الباكى فى حجورهن، وأخذن يواسينه بأعذب الألفاظ ؛ عندئذ قلق ابن أمفتريون على حبيبه وانطلق بقوسه وهراوته التى لاتفارق يمينه ونادى بأعلى صوته ثلاثا: «هولاس، هولاس،هولاس!»

فأجابه الفتى ثلاثا بصوت خافت حبيس ، ينبعث من جوف الماء، فيبدو بعيداً وهو قريب . فثار لذلك هيراكليس وقد استبدت به الرغبة والأمل فى العثور على حبيبه ؛ وأخذ يزأر ويضطرب ويمشى يخبط بين

---

(١) مضيق الدردنيل .

(٢) بحر مرمرة .

(٣) بطل من بحارة السفينة أرجو ، وصديق حميم لهيراكليس الذى كان يقدره إعجاباً ببسالته واحتراماً لقوته .

الاشواك المتشابكه مسافات مترامية كالأسد الضارى الذى ينطلق من عرينه إذا ماسمع صوت ظبي فى الجبل ، يريد أن ينقض عليه ليلتهمه فريسة سائغة .

٦٦ — ٧٠

واحسرتاه على العشاق ! كم ذا من الشقاء تحمل هيرا كليس ! أضناه السير فى الجبال وأعياه التنقل فى الأحراش ولم يعد يفكر فى ياسون ولافى رحلته ، لان أمرها لم يعد يعنيه .

وتأهبت السفينة للرحيل وامتلأت بمن كانوا فيها وانتظر أنصاف الآلهة عودة هيرا كليس ولكنه كان قد ذهب حيث حملته قدماه ، ودفعته ثورة جنونه وإله الحب القاسى يمزق فؤاده .

٦ — ربات الإلهام (١)

نظم ثيوكريتوس هذه الأبيات ليندد بالروح الماديه التي سادت عصره وليهاجم الأغنياء الذين لم يحفلوا إلا بجمع المال وكنزه ، وأعرضوا عن الآداب والعلوم وانكروا قيمتها .

* * *

٥ — ٨

أين من أهل سيراكوز من يفتح داره محتفيا بربات الشعر والإلهام، مرحبا بهن لا يردهن قبل أن ينعم عليهن بعطاياه ؟ إنه لن يوجد ، لذلك ستعود ربات الشعر مكتئبات ، شاكيات يلمنني على ما لقين ، سيعدن ليتوارين في بيتهن، وينكسن رءوسهن نادمات على فشلهن حزينات .

١٣ — ٦٧

أين حماة الشعر في هذا الزمان ؟ وأين السيد الذي يقدر الشاعر حين ينظم فيه المدائح ؟ إني ، وحق الآلهة ، لا أجد أحداً .

ليس القوم كما كان أسلافهم ، إنهم لا يبحثون عن مجد أعمالهم ؛

---

(١) أوربات الرشاقة وهن بنات زيوس من هيرا : يوفروسونا (المرحة) وثاليا (المزدهرة) وأجلا (المتألقة) ، وكانت مهمتهن إدخال البهجة والسرور على الناس وتعليمهم السخاء وترغيبهم في الحكمة والقول الحسن وإلهامهم الشعر .

فلقد أذلهم الطمع وأعماهم الجشع ، كل منهم لايفكر إلا فى جمع المال وكنزه ، حريص عليه فلا يعطى منه ، فإذا ما سألته رد عليك من فوره قائلا : «الأقربون أولى بالإحسان ، ماذا أفيد أنا من شعر هذا العصر وشعرائه ؟ إن الآلهة وحدهم يكرمون المنشدين . من يستطيع أن يستمع لغير هو ميروس ؟ إنه أفضل الشعراء جميعاً ، ومع ذلك فشعره لا يكلفنى قليلا أو كثيراً» .

أيها الأغنياء الأشقياء ! ما فائدة الذهب المكنوز ؟ إن العاقل لا يجد فى جمع المال متعة فهو يستمتع بجزء منه ويهب الآخر لمنشد من المنشدين .

أيها الأغنياء ! عليكم بالإحسان إلى الأقرباء والبعداء ، قدموا القرابين بلا انقطاع واستقبلوا الضيوف وودعوهم بالحفاوة ، كرموا الشعراء المقدسين خاصة واحترموهم حتى يمجدوكم مجداً يبقى بعد أن يطويكم الموت ، ولا يضنيكم الألم على ضفاف «الآخرون» البارد ، وإذا أنتم — والمعدم بن المعدم الذى ينعى فقره المدقع — سواء .

كم من العبيد عاش فى قصور أنتيوخوس وإلياس [1] ؟ وكم من الابقار امتلكت أسرة سكوپاس؟ [2] وكم ذا غصت مراعيهم بالعجول والثيران ؟ وفى سهول كرانون كانت ترعى الآلاف من النعاج الممتازة التى يمتلكها الكرماء من آل كريون ، ولكن عندما لفظ أرباب هذه الثروات الطائلة آخر أنفاس الحياة الحلوه وصعدوا فى زورق الموت يقوده

---

(١) أنتيوخوس وإلياس أميران من أمراء تساليا اشتهرا بثرائهما العريض .
(٢) من أعرق الأسر فى تساليا وأغناها .

ذلك العجوز البغيض ماوجدوا الراحة إلافيما نظمه فيهم شاعر خيوس العظيم[1] من قصائدرائعة إذيتغنى على قيثارته بمجدهم فيكتب لهم الخلود على مر الأجيال المتعاقبة ، ولولا شعره لأصبحوا بعد موتهم مغمورين لا ذكر لهم بين أشباح الموتى الشنعاء .

من ذا الذى كان يستطيع أن يعرف حال أبناء برياموس وغيرهم من الأمراء لولم يتغن بحرب طرواده الشعراء ؟ وأودوسيوس نفسه ما كان له أن يتمتع بخلود ابدى لولم يمجده المنشدون ؛ أو دوسيوس الذى ضرب فى عرض البحار وظل مائة وعشرين شهرا مفقوداً ينتقل بين مختلف الشعوب ، ثم نزل حيا إلى العالم السفلى فى آخر الدنيا بعد أن أنقذ نفسه من الكوكلوبس، ويومايوس راعى الخنازير[2] ولا أرتيوس[3] الهمام ، لم يخلدوا إلا بفضل الشاعر الأيونى[4] ، بل لولاه لطواهم النسيان طياً .

إنها هى ربات الإلهام التى تهب البشر الذكر والخلود ، اما المال فإلى زوال ، ذلك أن الأحياء يبـــددون مال الأموات ، ومع ذلك لا يتعظ البخيل ولا يجود ، وكما أنه يستحيل عد الأمواج التى يدفعها البحر نحو الشاطىء فكذلك يستحيل دفع البخيل إلى الجود .

فتباً للبخلاء ، وليملكوا من المال ما لا يعد ، وليسيطر عليهم الجشع ماشاء ؛ أما انا فلست أبغى إلا تقدير الناس ولست أسعى إلا إلى صداقة الرجال ؛ إن هذا عنـــدى خير من آلاف الخيل وملايين البغال .

---

(١) الإشارة هنا إلى سيمونيديس الذى تغنى فى أناشيده بالأسر المذكورة ، وهو من أشهر شعراء اليونان عاش ما بين (٥٥٦ ــ ٤٦٨ ق . م) ونظم مقطوعات رائعة من الشعر الغنائى : أغانى النصر ، أناشيد المديح ، قصائد الرثاء .

(٢) خلده هوميروس فى الأوديسا : ١٦ .

(٣) والد أودوسيوس ، بطل الملحمة الهومرية .

(٤) هوميروس ، شاعر الخلود .

٧ ـ بطلميوس الثانى

كان بطلميوس الثانى يحكم مصر وقت أن زارها ثيوكريتوس، ولقد وجد الأدباء من تشجيعه ما أنساهم أوطانهم وحبب إليهم الإقامة فى بلاطه .

وكان شاعرنا من المقربين الذين اصطفاهم هذا الملك وأجزل لهم العطاء ، لذا مدحه بقصائد عديدة من ديوانه[1] .

* * *

أيا ربات الشعر ! فلنبدأ نشيدنا بذكر زيوس ، رب السموات والأرض، ثم فلنختمه بذكره أيضاً . لقد ترنم الشعراء قديماً بالأبطال من أبناء الآلهة وأنصاف الآلهة وتغنوا بمجيد فعالهم . واليوم يحلو لى التغنى ببطلميوس ، سيد الخلق وأفضل البشر .

لاترنم بجليل أعماله وأتغنى بنبيل خصاله ، فنى التغنى به تعظيم للآلهة أنفسهم وإجلال .

لست أدرى من أين أبدأ .. إن مثلى كمثل قاطع الأخشاب إذا ذهب إلى غابة «إدا»[2] وجد فيها أشجاراً متنوعة ، فيجيل البصر فيها ويحار بأى

(١) لقد أشاد ثيوكريتوس بذكر هذا الملك وأثنى عليه وعلى أسرته فى القصائد ١٤ ، ١٥ ، ١٧ .

(٢) كانت تقع بالقرب من جبل « إدا » فى سهل طروادة ، تغنى بها شعراء اليونان منذ أقدم العصور .

أشجارها يبدأ ، وأنا لا أدرى كيف استهل الحديث عن أسبغت عليه الآلهة جزيل النعم ، واختصوه من بين الملوك بأرفع منزلة .

فلأبدأ بآبائه :

إنه ابن بطلميوس الأول الذى قام بأروع الأعمال وفاق سائر الملوك بسياسته وحكمته ، منحه الله شرفاً رفيعاً وسواه بالآلهة الخالدين ؛ إن له فى بيت الإله محرابا ؛ إلى جواره الإسكندر العظيم ، باعث الخوف والرعب فى قلوب الفرس ، وإلى أمامه هيرا كليس ، البطل الحديدى ، الذى كان يشارك الآلهة فى ولائمهم . لقد جلس مبتهجاً مزهواً ، راضى النفس ، قرير العين لأن زيوس ، كبير الآلهة ، قد من على أبنائه وأحفاده بالخلود ، لا تمسهم الشيخوخة ، وهم فى عداد الخالدين لأن الاسكندر الأكبر وبطلميوس الأول ينتسبان لهيرا كليس وقد انحـــدرا من أرومته .[1]

أما أمه فهى برينيكا : أشهر نساء عصرها وأذكاهن ، كانت لأهلها نعمة من الآلهة ، وقد داعبت أنامل أفروديتا قلب هذه الزوجة الرقيق ، وفتحته ثم ملأته حباً لزوجها الذى سعد بحبها ونعم ، أحبته مثلما أحبها وألفت المودة بين قلبيهما فأنجبا ذرية طيبة ، ولو كانت خائنة لولدت أبناء لا تربطهم بأبيهم صلة ولا يشعرون نحوه بعاطفة .

أى أفروديتا ! يا أجمل ربات الأولومپوس ! لقد أسبغت عليها

(1) يأخذ الشاعر هنا بالرواية القائلة بأن أصل بطلميوس والاسكندر يرجع إلى كارانوس أوبرديكاس مؤسس الأسرة الملكية فى مقدونيا

رعايتك وعونك ، لقد شئت ألا تعبر الآخرون نهر الموت ، نهر الحزن والعويل ؛ فقبل أن تصل سفينة الموتى بربانها المقطب الجبين لتنقل برينيكا إلى العالم الآخر أسرعت إليها فوهبتها حياة خالدة فلم تمت ، وأسكنتها هيكلا يحف بها فيه التعظيم والتقديس ، عطوفة على الناس أجمعين ، تلهم القلوب الحب السعيد وتخفف عنها عناء الكرب العظيم .

أيا بطلميوس ! لقد ولدتك أمك فى جزيرة كوس التى تلقتك منذ أن رأيت النور . جاء أمك المخاض هناك على هذه الجزيرة واستعانت وهى تعانى آلام الوضع بالإلاهة أيليثويا[1] (Eileithuia) إذ نادتها لتقف بجانبها وتأخذ بيدها ، وبعد لأى وضعت غلاماً لطيفاً يشبه أباه . فلما رأته الجزيرة اختلجت وضمته بين ذراعيها وقالت : « فلتباركك السماء يا بنى ، حتى ترفع من قدرى وقدر المدن الدورية المجاورة كما رفع أبوللون من قدر ديلوس » .

ولما انتهت من كلامها حلق نسر هائل فى كبد السماء وصرخ ثلاثا ، فكان فألا حسناً ورضا من رب العالمين الذى يرعى بطلميوس العظيم ويحوطه بالحب والتقدير منذ أن ولد ، بطلميوس فيلادلفوس ذو الثراء العريض والملك الواسع ، سيد البحار وحاكم الحاكمين .

إن ملك الإله واسع وإن عبيده كثيرون ، إنه ينزل عليهم من السماء

---

(١) ابنة زيوس وهيرا التى كانت تشرف على عملية الوضع وتخفيف آلامه ، وكانت تعبد فى مختلف المقاطعات اليونانية وخاصة فى جزيرة كريت حيث أقيمت لها المعابد الضخمة .

غيثا يروى الأرض فتنبت نباتاً حسناً .. ومصر أغنى بقعة فى هذا الملك العريض ؛ أهلها أكفاء حاذقون ؛ أرضها خصبة ولاسيما دلتاها حيث يتدفق النيل بمائه الغزير فيفتت التربة ويرويها ؛ بلادها الكثيرة ومدنها العديدة تدين كلها بالطاعة والولاء لسيد فرد وملك واحد هو بطلميوس الثانى ، ملك مصر وبلاد العرب وبعض سوريا وليبيا وبلاد الحبش ، حاكم كاريا وجزائر الكوكلاديس . ولم لا يكون ؟ إن أسطوله لأعظم الأساطيل وأقواها ، يجوب البحار من أقصاها إلى أقصاها ، وجيشه ضخم هائل بجنده المسلحين وخيله المطهمة . لذا دانت له البسيطة كلها ، أرضها وبحرها رطبها ويابسها ؛ أما ثروته فحدث عنها ولا حرج ! يكفى أنها تزيد على ثروة ملوك العالم طرا ، كل يوم يفد إلى قصره الخير العميم من مختلف الجهات . شعبه ماهر ، مجد بطبعه ، ومملكته فى سلام دائم ، لا يقترب منها عدو أبداً ولا يصل إلى وادى النيل معتد ليبعث الرعب فى أهله أو يلحق الضرر بزرعه . هذه السهول الواسعة تخضع كلها لحكم بطلميوس الذى يبذل قصارى جهده ليصون ملك أبيه ويعمل على اتساع رقعته . فهذا واجبه كملك عظيم .

أما الذهب فانه لا يكنزه فى قصره الزاهر فيعطله ولا يدخره كما يدخر النمل الذى لا يتوقف عن الجمع والسعى ، بل إنه ينفق جزءاً كبيراً منه على بيوت الآلهة العامرة ، يهدى الهدايا ويهب الهبات للمدن وللملوك الأمجاد ، ولا ينسى أصدقاءه المخلصين ؛ إنه يشجع المنشدين والشعراء . وما من أحد أتقن العزف وأبدع فى الغناء ممن اشتركوا فى

مسابقات ديونوسوس إلا نفحه قدراً من المال ، مكافأة له على حذقه ، لذلك يتغنى به الشعراء ويشيدون ببيض أياديه .

وأى عظيم من العظماء يطمع فى شىء أفضل من الذكر الطيب بين الناس؟

لقد كانت الذكرى الحيدة وحسن الاحدوثة من حظ أبناء أتريس (١) ، ولولا ذلك لطواهم الموت وتكفنوا بأكفان النسيان ، رغم ما أصابوه من ثروة ضخمة بعد الاستيلاء على قصور پرياموس .

لقد قام بطلميوس الثانى بأعمال لم تخطر على بال ، أعمال لم يقم بمثلها أسلافه الأقدمون ولا آباؤه الأقربون .

بنى المعابد وملأها بألوان من الطيب الذكى والبخور العطر ، شيدها لأبويه العزيزين ووضع لهما فيها تماثيل ذهبية مطعمة بالعاج ، هى آية فى الإبداع ، وعلى مذابحها الدامية كان ينحر الضحايا كل يوم هو وشريكة حياته النبيلة ، برينيكا ، خير الزوجات التى أحبته من كل قلبها . وكيف لا ؟ فهو أخوها وهو زوجها .

وداعاً أيها الملك ! لن أنساك بل سأذكرك ذكرى لأنصاف الآلهة .

إن مآل قصائدى التى أتغنى بك فيها هو الخلود ، ولن تستخف بها الأجيال المتعاقبة .

أعزك زيوس ورفع شأنك . . .

---

(١) أجا ممنون قائد اليونان فى حملتهم الشهيرة ضد طروادة ، وأخوه منيلاوس ، زوج هلينا .

٨ — المِغْزل

نظم ثيوكريتوس هذه المقطوعة ليقـــدمها مع مِغْزل ، هدية لثيوجنس ، زوجة صديقه نكياس ، الذى كان طبيباً وشاعراً معاً .

* * *

أيها المغزل ، ياحبيب الأصواف ، يامن تهديك أثينا لربات البيوت ، أثينا ذات الأعين الزرقاء . تعال معى ، فى ثقة واطمئنان ، إلى المدينة المشهورة التى أنشأها نليوس[1] ، إنى ذاهب إليها .

هناك سأسعد برؤية صديق نكياس ، وأذوق إلى جانبه طعم الحب المشترك .

هناك سأقدمك ، أيها المغزل العاجى ، يا دقيق الصنع ، سأقدمك إلى ثيوجنس ، زوجة صديق .

وستغزل لها وفرة من الصوف الذى تصنع منه ملابس الرجال ، وكميات أخرى لصنع الأقمشة الشفيفة الناعمة التى تلبسها السيدات .

سأقدمك هدية إلى ثيوجنس التى تعمل بلا انقطاع ، والتى تحب كل ما تحبه ربات البيوت الحكيمات .

---

(١) مدينة ميليتوس الأيونية التى تقع على ساحل آسيا الصغرى ، بناها نليوس بن كودروس الاثينى .

ألا ترى إذن ، أيها المغزل ، أنى لا أعهد بك إلى امرأة خاملة أو عاطلة !

إنك عزيز على لأنك من وطنى [1] ؛ من البلدة التى بناها قديما أرخياس ، أعظم مدينة فى صقلية ، مدينة البواسل الأبطال .

سوف تقيم فى منزل طبيب يعرف كثيراً من الأدوية الناجعة التى تشفى الناس من العلل الخبيثة .

سوف تقيم فى ميليتوس الجميلة بين قوم من الأيونيين .

وسوف تعمل من جانبك لتفتخر بك ثيوجنس بين نساء بلدها .

سوف تذكرها دائماً بضيفها الذى يحب الإنشاد ، لحين تراك ستقول : « إن الهدية متواضعة لكن معناها عظيم ؛ إن كل ما يجود به الصديق عزيز نفيس » .

---

(١) أى من سيراكوز عاصمة صقلية التى بناها أرخياس السكورنثى ، أنظر المؤرخ استرابون ، الفصل : ٦ ، ٢٤ ، قارن الفصل الثانى ، من هذا الكتاب ١ ـ حياة ثيوكريتوس ، ص ٢٤ .

٩ – الغزل بالغلمان

عرف اليونان فى جميع العصور هذا اللون من الغزل[١] ، وكتب فيه أدباؤهم الأدب الكثير ولا سيما فى عصر الاسكندرية . ولقد نظم شاعرنا قصيدتين من هذا النوع : التاسعة والعشرين والثلاثين .

وهذه ترجمة القصيدة الأولى .

* * *

يقال ، يا حبيبى ، إن النبيذ يكشف الحقائق ؛ وما دمنا نترنح من نشوة الخمر ، فلنقل الحق إذن .

سأبدأ أنا بقول كل ما يدور بخلدى : إننى واثق من أنك لم تسع إلى حبى ، وأنك لا تحبنى الآن من قلبك . أما أنا فأعيش بنصف روح لأن فتنتك استقلت بالنصف الآخر .

رضاك يسعد أيامى ، واعراضك عنى يردينى فى حلكة الظلام .

فهل يرضيك ترك حبيبك نهباً للآلام ؟

إننى أكبر منك سناً ؛ فإن اتبعت نصحى ، فلسوف تفيد وتشكرنى :

---

(١) أنظر : هيرودوت ، الكتاب الأول ، فصل ١٣٥ ؛ أفلاطون ، المأدبة ١٩٢ ؛ ارجع إلى الفصل الممتع الذى كتبه العالم الفرنسى مارو عن غزل الغلمان فى كتابه « تاريخ التربية فى العالم القديم »

Marrou, Hist. de l'Educ - dans l'antiq. , Paris, 1948.

«اتخذلك عشا واحداً فوق شجرة واحدة، لا تصل إليه حية ضارية» .

إنك الآن تحب أن تنتقل بين الأغصان ، تقف اليوم على غصن وغداً على آخر .

فاذا ما رآك من أعجب بوجهك الجميل ، فسرعان ما تهفو إليه وتحبه أكثر من صديقك الذى عرفته ثلاثة أعوام وتتخلى عن حبيبك الأول كأنك لم تعرفه إلا منذ ثلاثة أيام .

إنك تختال بنفسك كثيراً ، فيما يلوح ، ولكن اكتف برفيقك ما دمت تحبه . فان فعلت ذلك ، مدحك مواطنوك ، ولم يستبد بك أروس ، الذى يقهر قلوب البشر فى يسر ، أروس الذى ألان قلبى بعد أن كان جامداً كالصخر .

أرجوك ، بحق ثغرك العذب ، أن تذكر هذه الحقيقة . لقد كنت فى العام الماضى أصغر سناً ، ولكننا نسير مسرعين نحو الشيخوخة ، وقريبا جداً ستعلو جباهنا التجاعيد والغضون ، واسترجاع الشباب مستحيل كما تعلم لأن له أجنحة على كتفيه واللحاق بما يطير أمر فوق ما نستطيع .

تدبر ما أقول ، وكن ألطف معشراً . إننى أحبك ، ولا بد لك من ان تخلص إلىّ . وعندما تكبر ستصبح صديقين متحابين مثل الصديقين اخيليوس وپاتروكلوس (٢) .

---

(٢) اخيليوس أشجع أبطال اليونان فى حرب طروادة خلده هوميروس فى الالياذة، كان يحب صديقه پاتروكلوس إلى درجة الجنون فصار حبهما مضرب الأمثال، أنظر الالياذة : الأناشيد ١٨ــ٢٢ .

١٠ ـ مناجاة

أحب كوريدون الراعى ريفية حسناء تدعى أماروليس ، ولكنها لم تبادله الحب ، فأخذ يستعطفها ويستميلها دون جدوى ؛ فلما ذهبت محاولاته أدراج الرياح فضل الانتحار واستسلم للذئاب لتخلصه من بؤسه وعذابه .

***

أى عزيزى ، تيتوروس ، خذ أعنزى إلى الجبل لترعى العشب الأخضر وترتوى من النبع الجارى ، واحذر الكبش الليبى حتى لا ينطحك ، أما أنا فسوف أذهب إلى أماروليس أداعبها وأناجيها علها ترضى عنى .

حبيبتى أماروليس ! لماذا تعرضين عنى ولا ترسلين فى طلبى ؟ لماذا انت تبقين فى الكوخ لا تريعين عنه ولا تفكرين فى صديقك العزيز ؟ ألا تودين رؤيتى لأن أنفى أفطس لا يعجبك ولحيتى الطويلة تضايقك ؟

أى صغيرتى ! أتريدين ان أشنق نفسى؟ هذه تفاحات قطفتها لك وغداً سآتيك بغيرها .

آه ! ليتنى كنت نحلة لأطير وأتسلل إلى كوخك من بين أوراق اللبلاب الذى يلتف حولك !

لقد أدركت الآن حقيقة الحب ؛ إنه إله وحشى مخيف ، رضع بلا ريب لبن لبؤة ربته فى الغابات والأدغال ، إنه قاس شرير يحرقنى ويدمى بدنى .

أى فتاتى الرقيقه ! يا ذات الوجه المشرق والعيون الجميلة والحواجب السود !

تعالى وخذى حبيبك الراعى بين ذراعيك ؛ ضميه إلى صدرك ليقبل فاك ، فأنا أهوى القبل ولو كانت من فتاة متقلبة لعوب .

يا أماروليس ! لاتدفعى بى إلى تمزيق ذلك التاج وتقطيعه إرباً ؛ لقد صنعته لك وزينته بالأزهار العطرة والورود العبقة الندية .

واحسرتاه ! أنى أذهب ؟ وماذا أفعل ؟ ما أشقانى ولكن بؤسى وشقائى لا يحركانك. سألقى بنفسى فى أعماق البحر، فأريحك وأفعمك سروراً.

وأمس عرفت مدى إخلاصك لى ؛ لقد سألت قارئة الكف فأطلعتنى على حقيقة حبنا ، وقالت لى : « إنك تحب فتاة لا تفكر فيك قط » ؛ ورغم ذلك فانى أدخر لك عنزة بيضاء لها توأمان ؛ لقد طلبتها إلى إريثا كس السمراء فسوف أقدمها لها مادمت ترفضين حبى ولا تقبلين هديتى.

سأزورها وستنصت إلى وتعنى بأمرى ، وسأغنى لها بالقرب من شجرة الصنوبر وسيرق فؤادها لى لأنه لم يقد من صخر كما قد فؤادك .

ثم يبدأ يردد نشيداً يصف فيه الحب القوى الذى كان معروفا عند قدماء اليونان .

ولما انتهى من الغناء قال لأماروليس : إن صداعا شديداً يؤلمنى ، لكنك لا ترثين لحالى ، لذا سأكف عن الإنشاد وألقى بنفسى على الأرض وأظل جثة هامدة حتى تأتى الذئاب وتنهشنى. أو ليست هذه أعز أمانيك ؟ أفلا تجدين وقعها فى نفسك أحلى من طعم العسل ؟

١١ — حصاد القمح

يصف لنا ثيوكريتوس فى هذه المقطوعة شخصيتين ريفيتين مختلفتين : ميلون وهو فلاح صبور يعمل دون توقف ولا يفكر إلا فى طعامه وشرابه ، ثم بوكايوس وهو كسول خامل يعجز عن إنجاز عمله لانه عاشق أنهكه الحب وأضناه .

وهذا نص الحوار الذى يصورهما ويعبر عن مشاعرهما .

* * *

ميلون : أى بوكايوس ! ماذا أصابك ؟ وما أضناك أيها الأجير البائس ؟ إنك اليوم لاتستطيع أن تحصد سيقان القمح كما كنت تحصد من قبل، ولا تقوى على الاسراع فى قطع السنابل كما يسرع زملاؤك . لقد تخلفت عنهم كما تتخلف الشاة عن القطيع عندما تخزها شوكة حادة فتدمى قدمها .

بوكايوس : أى ميلون ! يا من لا يعرف التعب ، إنك صلد كالحجر . ألم تحب أبدا ؟ ألم تهو فتاة بعيدة عنك علق بها قلبك ؟

ميلون : لم يحدث ذلك أبدا ! ومال الفلاح وللحب ؟ وماذا يدفعه أن يحب بلا أمل ؟

بوكايوس : ألم يحرمك الحب من طعم الكرى ؟

ميلون : كلا وحق الآلهة ! حمداً لهم ! فالأفضل ألا يذوق الانسان طعاماً ضارا به أو محرماً[1] عليه .

بوكايوس : لكننى وقعت فى شرك الحب منذ أيام .

ميلون : ومن تلك التى عذبتك وأضنت فؤادك ؟

بوكايوس : ابنة پولوبوتاس التى كانت تغنى على المزمار للحصاد.

ميلون : دعك من الغرام ، وعليك بحصد القمح ، وإن شئت أنشدنا ، بحق من تحب ، أغنية من أغانى الحب لعلها تهون عليك وتدفعك إلى العمل .

وعندئذ يستجيب بوكايوس لطلب زميله ويبدأ الغناء فينشد :

أنشدن معى ، يا ربات الشعر ، ومجدن فتاتى الرشيقة ،
فكل شىء ، فى أيديكن يصبح جميلا .
حبيبتى بومبوكا ! يقولون إنك نحيفة الخصر سمراء ؛ فهل هذا يعيبك ؟ .
أتراهم نسوا أن زهرة البنفسج رقيقة قاتمة اللون ولكننا نختارها قبل غيرها لنزين بها الأكاليل ؟
إن الذئب يطارد العنز ، والعنز تحب العشب الأخضر ، وأنا مجنون بك ؛ خلب لبى جمـــالك وأعجبنى غناؤك وأسحرنى صوتك .

---

(١) ترجمة النص : « يجب ألا تسمح للكلب أن يأكل أحشاء الحيوانات » ، وهذا مثل يونانى قديم معناه ألا يتعود المرء على عادة ضارة أو ممنوعة لأن الحب ، فى رأى ميلون ، شىء محرم على أهل الريف .

ميلون : يا لآلهة السماء ! لم أكن أدرى أنك بارع فى الغناء إلى هذا الحد ، ولكن استمع إلى أيضا أغنى نشيد الحصاد .

أى ديميتر ، يا ربة الفاكهة والقمح الوفير ، ساعدينا لنحصد القمح بلا مشقة ولا عناء ، باركى المحصول واملئ البيادر !

وأنتم ، يا شباب ، اخلصوا فى عملكم ، واستيقظوا ، مع الطير ، فى الصباح المبكر ، وابدءوا الحصاد ولا تتوقفوا إلا إذا حمى الحر اللافح ، ولا تناموا الظهيرة ، بل أرقبوا ريح الشمال وأفيدوا من هبوبها لأنها تساعدكم على حصد السيقان .

يا ربة الفاكهة والقمح الوفير ، باركى المحصول واملئ البيادر ! .

هذا نشيد الحصاد على الرجال العاملين أن يرددوه وهم يكدحون فى وهج الشمس ، أما أغانى الحب والهيام فغنها لأمك فى الصباح قبل أن تنهض من فراشها . .

٢ — من موسخوس

١ – أروس الهارب[1]

١ — ٢٩

نادت أفروديتا ابنها أروس بصوت عال وقالت « لقد هرب منى أروس ليتسكع فى مفارق الطريق ، إن عندى قبلة لمن يدلنى عليه ، وإذا أتى به إلى فربما فاز بأكثر من ذلك » .

إنه طفل يمكن التعرف عليه وتمييزه سهل ؛ فلقد تعدى العشرين، بشرته ليست بيضاء ولكنها حمراء كالنار، أما عيناه لخادتان متوقدتان . إن أفكاره لخبيثة وعباراته معسولة ، يقول شيئا ويفكر فى شىء آخر . لغته حلوة كالعسل وتفكيره مر كالعلقم ، غليظ القلب مخاتل ، لا يقول الصدق أبداً ، ماكر شرير ، يحب الألعاب العنيفة القاسية ويعلو رأسه شعر جميـــل ، وتنم جبهته عن جرأة بالغة ؛ يداه صغيرتان جدا لكنهما قويتان ، تقذفان ضحايا الحب حتى شواطىء « الآخرون » بمملكة هاديس[2] ..

---

(١) تعد هذه المقطوعة والتى تليها — رثاء بيون — من أروع القصائد التى نظمها موسخوس ، وهذه الأبيات تكاد تكون تقليداً حرفياً للقصيدة التاسعة عشرة من ديوان ثيوكريتوس .

(٢) عالم الموتى .

له أجنحة كالطير ، يطير بها من شخص لآخر ، يطير إلى الرجال وإلى النساء ويحل فى القلوب ، له قوس صغير وسهم رقيق ، لكنه يصل إلى عنان السماء ، يحمل على ظهره جعبة ذهبية ، يضع فيها سهامه القاتلة التى كثيراً ما تصيبنى أنا نفسى . كل ذلك مؤلم ولكن شعلته أكثر إيلاما ، إنها مصباح صغير ، ولكنه قادر على أن يحرق الشمس نفسها .

فيا من تقبض عليه قيده ، واحضره ولا تأخذك به شفقة ؛ وإن رأيته يبكى ، فاحذر أن يخدعك ، فإذا ضحك ، بجره ، وإذا أراد تقبيلك ، فابتعد عنه ، لأن قبلته ضارة وشفتيه مسممتان . وإن قال لك « خذ هذه ، إنى أهديك أسلحتى » ، فلا تلمس هداياه الكاذبة لأنه قد غمسها فى النار .

٢ ـ رثاء بيون[1]

١ — ١٣

نوحى معى أيتها السهول ! نوحى معى ياعين أريثوسا !
اذرفى الدمع معى ، أيتها الأنهار !
لقد مات بيون اللطيف.
وأنت أيتها النباتات ! إبكمعى ؛ وأنت أيتها الأحراش نوحى عليه !
يا أزهار الفظى أنفاسك الأخيره من أوراقك الحزينة .
ياورود ، يا شقائق النعمان فلتردد حمرتك حزنا عليه وكذا ،
يازهرة السوسن ، نوحى بما كتب على أوراقك من آهات ولتتل
تلك الآهات آهات أخرى ملأى بالحسرات !
ياربات الشعر الصقليات أعلن الحداد !
ويا أيتها العنادل التى تنتحب فوق الأوراق الكثه ، قلن لمياه اريثوسا:
« لقد مات بيون الزاعى[2] ، فماتت معه أناشيد الرعاة واختفت
باختفائه الأغانى الدورية » .

---

(١) يرى بعض النقاد أن هذه المقطوعة ليست من نظم موسخوس إلا أن لغتها وروحها وطريقة صياغتها تجعلنا لا نأخذ برأيهم ، أنظر :
Legrand, Bucs. Grecs. T.II,P. 155.

(٢) المقصود هنا بيون شاعر الرعاة .

١٩ — ٣٥

لقد كف بيون عن الانشاد ، بيون الذى كانت تحبه القطعان

فلن يغنى بعد اليوم جالسا على جذوع البلوط المنعزلة !

ولكنه سيردد أغنية النسيان فى عالم الموتى

لقد أصبحت الجبال بلا صدى ،

وحزنت الأبقار فازورت عن مرعاها .

ياربات الشعر الصقليات اعلن الحداد !

أى بيون ! لقد بكى أپوللون نفسه لموتك قبل الأوان

ولقد انتحبت جماعة الساتوروى ،[1]

وارتدى پرياپوس ورفاقه السواد من أجلك ،

وحزن پان واتباعه على أغانيك بأشجى الأحزان .

ولقد بكتك عرائس الماء بكاء طويلا ، فصار ماء الينابيع دمعا ،

واتصلت احزان «الصدى» لأنه لن يردد صوتك بعد الآن ،

ورمت لموتك الأشجار بثمارها ، وذبلت الأزهار كلها

وجف لبن الأغنام اللذيذ ، وتوارى عسل النحل فى الشمع حزنا وأسى .

لحرام أن تجمع العسل بعد أن حرمنا من شهدك

---

(١) Saturoi اا : هم أتباع ديونوسوس ، إله الخمر والغابات ،كانوا يسيرون معه ويرافقونه أينما ذهب ، وكانت لهم وجوه البشر ، وأرجل الماعز وذيول الخيل .

ياربات الشعر الصقليات أعلن الحداد !

١٠٥—٩٩

واحسرتاه ! إن أزهـار الحديقة تذبل ولـكنها ستزدهر فى الربيع التالى ،

لـكننا ، معشر البشر ، إذا ما أصابنا الموت مرة ، فاننا نرقد تحت الثرى لا نسمع شيئاً وننام نوما طويلا ..

فياربات الشعر الصقليات أعلن الحداد ..!

٣ — الراعى وصياد السمك

عندما يداعب النسيم صفحة البحر الأزرق ، يغرينى ماؤه الهادىء وينسينى جمال البر ومباهجه ، فإذا ما هاج واضطربت أمواجه العالية ، فسرعان ما أذكر اليابسة فتحلو مناظرها فى عينى وتشوقنى إليها ، فاترك البحر واهرع إلى الغابة حيث تغنى الأشجار مع الرياح العاتية .

إن حياة الصياد لقاسية ، مأواه السفن ، وعمله فى البحر ، وأمله فى الأسماك الهائمة ، أما أنا فأنام تحت شجر البلوط نوما هادئاً ، أتفيأ ظلالها الوارفة ، واسمع خرير الجداول الجارية وشدو الطيور الصادحة .

* * *

٤ — أمثال ريفية[١]

∴ لو استمر نزول الماء قطرة قطرة لاستطاع أن يشق الصخر .

∴ يابنى لا تلجأ إلى الناس دون مبرر ، ولا تعتمد على الغير فى انجاز أعمالك ، حاول أن تصنع مزمارك بنفسك .

∴ زينة المرأة جمالها وزينة الرجل قوته .

∴ كل شىء يتم بمشيئة الآلهة ، وبعونهم تهون الصعاب وتنتهى الأمور على خير ما يرام .

---

(١) هذه بعض الحكم التى نظمها شعراء الرعاة عند اليونان : ثيوكريتوس وموسخوس وبيون ، وليس فى مقدورنا أن ننسبها إلى أحدهم لأنها وجدت فى المخطوطات القديمة تحت عنوان عام « مقطوعات من شعر الرعاة وأمثالهم » دون ذكر لاسم ناظميها . أنظر . Legrand, Bucs. Grecs., T.II.P.P. 212-218'

٣ ـ من بيون

١ ـــ رثاء أدونيس[١]

هذه المقطوعه خلدت اسم بيون وأكسبته شهرة واسعة وترجمت إلى كثير من اللغات واعتبرت من أروع الأشعار الغنائيـــة فى مختلف الآداب ، نظمها الشاعر فى رثاء أدونيس الجميل ، حبيب أفروديتا ، إلاهة الحب والجمال .

* * *

١ - ١٢

مات الجميل أدونيس ، مات الجميل أدونيس !

إننى أبكيه وآلهة الحب معى تبكيه .

يا أفروديتا ، لاتنامى على فراشك الأرجوانى بعد اليوم ، هبى أيتها البائسة ، وارتدى الثياب ، واضربى على صدرك واعلنى للملأ أجمعين « لقد مات الجميل أدونيس » .

---

(١) كان رمزا للجمال والأزهـــار والخضرة ؛ اسمه مشتق من كلمة سامية Adon « سيد ، إله » ولقد نقل اليونان عبادته عن الأشوريين الذين عرفوه باسم تاموز « Thammuz » .

إننى أبكيه وآلهة الحب معى تبكيه .

إن أدونيس الجميل يرقد على الجبال مصابا فى فخذه الأبيض بعضة من ناب بيضاء ، إنه يسلم أنفاسه الأخيرة وقد سالت دماء سوداء على لحمه الناصع كالثلج ، وذبلت تحت حاجبه العينان ، وفارق اللون الوردى شفتيه ، وماتت عليهما القبلة التى لن تنالها أفروروديتا .

إننى أبيكيه وآلهة الحب معى تبكيه .

١٤ - ٥٥

إن الجرح الذى أصاب أدونيس ، فى فخذه دام مميت ، ولكن الذى أصاب قلب أفروديتا أفظع وأبلغ .

أحاطت به كلابه الوفيه تنوح عليه نواحا مرا وبكت عليه عرائس الجبال .

أما أفروديتا فقد حلت شعرها، وأخذت تجوب الأحراش حزينة عليه، تمشى بلا نطاق وبلا نعال ، يجرحها الشوك ، فيشرب من دمها المقدس ، وهى ترسل الآهات الحارة وتتخبط فى الوديان الواسعة ، تصرخ على زوجها الآشورى ، وتناديه بأعلى صوتها ، كانت تمشى وعليها ثوب أسود مفتوح ويداها تلطخان صدرها بالدم وثدياها فى لون الأرجوان بعد أن كانا فى بياض الثلوج .

واحسرتاه على أفروديتا ! إن آلهة الحب تبكى معها .

لقد فقدت زوجها الجميل ، وفقدت معه جمالها المقدس .

كانت أفرودتيا فى حياته فاتنة فزال حسنها بعد موته .

إن الجبال جميعها تردد معها وأشجار البلوط تدوى وتقول، واحسرتاه على أدونيس ! »

والأنهار تبكى من أجل أفروديتيا المحزونة، والجبال تنعى معها حبيبها ، والأزهار تحمر حزنا عليه ،

ويردد الصدى كلمات أفروديتيا ويقول : «لقد مات الجميل أدونيس » ومن ذا الذى لا يبكى حب أفروديتيا الحزين ؟ ومن ذا الذى لا يتفجع لمصابها؟عندما رأت أدونيس أدركت أنه قد أصيب بجرح بالغ خطير ،وعند ما شاهدت الدم القانى يتدفق من الفخذ الواهنة ، فتحت ذراعيها وانتحبت صارخة :

« انتظر يا أدونيس ! انتظر ، أيها المسكين ، حتى اقرب منك آخر قرب وأضمك إلى وأمزج شفتى بشفتيك . إنهض ، يا أدونيس ، لحظة وقبلنى آخر قبلة، قبلنى قبلة طويلة، قبلنى حتى تلفظ فى فى أنفاسك الأخيرة، فتنساب هذه الأنفاس فى دمى ؛ إنهض حتى أرتشف من حنانك وأرتوى من حبك ، وسأحتفظ بهذه القبلة وكأنها أدونيس نفسه ، ما دمت قد رحلت عنى ،أيها الحبيب،وذهبت بعيداً عنى، ذهبت إلى شواطىء الآخرون ذهبت عند الملك القاسى الكئيب ، وتركتنى وحدى أعانى البؤس فى هذا العالم لأنى لا أستطيع اللحاق بك .

أى برسيفونا ، خذى زوجى ! لأنك تفوقيننى قوة ،ولأن كل ماهو جميل إليك أنت مرده .

واحسرتاه، واحسرتاه ! ! لقد مات الجميل أدونيس .

٤ — من فرجيل

١ — ألكسيس

يصف الشاعر فى هذه الأبيات حب الراعى كورودون لغلام جميل اسمه ألكسيس ، وهذه المقطوعة تقليد للقصيدتين الثالثة والحادية عشرة من ديوان ثيوكريتوس ، استمد منهما ڤرجيل موضوعه واستعار تعبيراته وتشبيهاته فقال ..

* * *

لقد اكتوى كورودون بحب ألكسيس الجميـــل الذى كان يهيم به ســــيد آخر ، فكان كورودون يحبه بلا أمل ، إذ كان يأتى دائما بين أشجار الزان الكثيفة ، ذات القمم الباسقة ، ليردد على مسامع الجبال هـذه الأغانى الجافة ، يرددها وحده وقد اكتوى فؤاده بنار حب فاشل .

يا ألكسيس ، يا قاسى القلب ! أو لا تكترث لقصـــائدى ؟ أو لا ترثى لحالى ؟ إنك ستدفعنى إلى الموت دفعا .

ففى هـذه اللحظة التى تهجع فيها المخلوقات جميعا ، وتسعى الماشية إلى الظل الوارف والمأوى الرطب ، وتبحث الزواحف عن مخبأ فى أجمات الشوك ،

فى هذه الساعة عندما تدق ثستوليس الثوم والصعتر والأعشاب الشذية للحاصدين الذين لفحتهم حرارة الشمس المحرقة ،

فى هذه الساعة أضرب أنا فى الأرض تحت أشعة الشمس المحرقة ، أغنى وأبحث عنك بينما تردد الغابات أصوات الجنادب العالية .

أما وكان أولى بى أن أتحمل غضب أماروليس وغطرستها ؟ أو أن أتحمل منالكاس رغم سواد بشرته ؟

أيها الغلام الجميل ، لا يغرنك بياض إهابك ، فالياسمين الأبيض يتساقط من تلقاء نفسه بينما العسيران الأسود يبقى حتى يقطفه الناس .

إنك تحتقرنى ، يا ألكسيس ، و تتجاهلنى !

إنك لا تدرى كم أملك من القطعان الضخمة ولا تعلم مقدار ما يفيض عندى من اللبن الذى يشبه الثلج فى بياضه .

عندى ألف شاة تنتقل بين جبال صقلية ، ولا يعوزنى اللبن الطازج أبداً ، بل هو وفير فى الصيف وفى الشتاء .

وأنا أغنى الألحان التى اعتاد أن يغنيها رعاة أتيكا فى جبالهم .

إنى لست قبيحاً إلى هذا الحد ، فمنذ عهـــد قريب كنت أقف على الشاطىء فرأيت وجهى على صفحة البحر الهادىء .

فإذا كانت الصورة لا تخالف الواقع فأنا لا أخشى مقـــارنتى بدافنس .

آه ! لو طاب لك أن تعيش معى فى الريف الساذج والأكواخ المتواضعة لنصيد الوعول ونسوق المعز نحو الخبيزة البرية ،

لسوف أعلمك فى الغابات كيف تعزف كما يعزف پان ؛ ولكن إياك أن تتألم إذا أدمى المزمار شفتيك لأن أمونتاس قد تحمل كل صعب ليتعلم هذه الأغانى .

عندى لك مزمار من سبع قصبات ملتصقات غير متساويات أهداه إلى دامويتاس عند موته قائلا :

« سوف تصبح سيد هذا المزمار من بعدى » .

وعند ما سمع أمونتاس الأحمق هذه العبارة ، دبت الغيرة فى قلبه .

وعندى لك فوق ذلك غزالتان وجدتهما فى واد غير آمن .

ولقد توسلت إلى تستوليس أن آتيها بهما، وما دمت ترفض هداياى وتزدريها فستنالها هى .

تعال إلى ، أيها الجميل ؛ وانظر ها هى ذى حوريات الماء تحمل إليك زنبقا يملأ السلال .

وها هى ذى عروس البحر تقطف لك زهرات البنفسج الشاحبة ورءوس الخشخاش وتضيف إليها أزهار النرجس العبقة ، ثم تنمق أزهار العسيران الرقيق والأقحوان الأصفر وتضعها مع القثاء المندى وغيرها من عطر الأعشاب . سأجمع لك بنفسى السفرجل ذا الزغب الرقيق والقسطل الذى كانت تحبه حبيبتى وسأضيف إليها البرقوق الأصفر .

يا أغصان الغار سأقطعك ، ويا أغصان الريحان سأضعك معها ليختلط عبيركما الشذى .

واحسرتاه ! ما أشقاني ! ماذا اقترفت ! لقد فقدت رشدى فتركت ريح الظهيرة اللافحة تبعثر الأزهار ، وسمحت للخنازير بارتياد الينابيع الصافية .

أيها الطائش ! ممن تفر ؟

إن الآلهة أنفسهم كانوا يسكنون الغابات ، وباريس الطروادى سكنها أيضا. فلنحب الغابات إذن ولنفضلها على كل شيء.

إن اللبؤة المتوحشة تطارد الذئب ، والذئب يطارد العنز ، والعنز تجرى وراء العشب المزهر ، وكورودون يبحث عنك ، يا ألكسيس ، لأن كل مخلوق يجرى وراء لذته .

أنظر العجول عائدة بالمحاريث عالقة بنيرها ، والشمس غاربة تضاعف الظلال المتكاثفة ومع هذا فنار الحب تحرقنى . أفما لهذا العذاب من آخر ! !

أيا كورودون ، أيا كورودون ! أى جنون استولى عليك ! إنك لم تشذب إلا نصف كرمتك الملتفة حول شجرة الدردار المورقة .

خير لك أن تستعد لتجدل من ألياف الصفصاف والبردى ما قد تحتاج إليه وإذا كان ألكسيس يسخر منك ، فسوف تجد غيره .

٢ — جاللس

فى هذه المقطوعة يصور لنا الشاعر اليأس المضنى الذى استولى على عاشق ولهان هجرته حبيبته ، وهذه الأبيات تقليد للقصيدتين الأولى والسابعة عند ثيوكريتوس .

* * *

ياربات الشعر الصقليات ! ساعدننى على نظم هذا القصيد الأخير ، فلابدلى أن أنشد بعض الأغانى التى تعجب لوكوريس،حبيبة جاللس.

فمن ذا الذى يستطيع أن يمتنع عن الانشاد من أجل جاللس ؟

ليت دوريس ، إذا وافقت ، يا أريثوسا ، لا تخلط ماءها الأجاج بمياهك العذبة عندما تنسابين تحت الأمواج الصقلية !

ياربات الشعر الصقليات ! ساعدننى على وصف حب جاللس المضنى بينما ترعى أغنامى العشب النضر .

اننا لا نغنى لمن بآذانهم صمم ، فالغابات تردد الأصوات جميعاً.

ياحوريات البحر ! اين كنتن ؟ فى أى حرش وعند أى مرعى ؟ اين كنتن عندما كان يذوب جاللس أسى من أجل حب هو به غير جدير ؟

لقد ذرف كل حىّ الدمع من أجل جاللس ..

بل بكاه شجر الغار والأثل ، وناحت عليه الجبال وذرفت الصخور من أجله الدموع .

والتفت حوله القطعان ،

وجاءه رعاة الأغنام ، وجاءه رعاة البقر يسيرون هونا

وجاء منالكاس . . جاءوا جميعاً فسألوه : من ذا الذى أصـــابك بهذا السهم ؟ »

وجاءه أپوللون وسأله : « لم هذا الجنون يا جاللس ؟ إن حبيبتك لوكوريس قد ذهبت مع آخر .

ثم جاءه سلڤانس أيضاً وقد زين رأسه بتاج من الأغصان وأخذ يلوح بأزهار الزنبق .

وأخيراً جاءه پان ، إله أركاديا ،

رأيناه بأعيننا وقد صبغ وجهه بالخان الأحمر والتوت القرمزى ، جاءه فقال له : « ألا تضع حداً لآلامك ؟ » .

إن إله الحب لايعبأ بهذه الأحزان ، إن هذا الإله الفظيع لايرتوى أبداً من دموع العشاق ،

كما لا يشبع العشب من ماء الجداول ولا النحل من رحيق الأزهار ولا الأعنز من ورقات الشجر .

فأجابهم جاللس فى حزن عميق :

سوف تنشدون ، يا أهل أركاديا ، قصة آلامى وأنتم ترعون فى الجبال ، فأنتم وحدكم تتقنون الإنشاد .

وما أطيب ما تشعر به عظامى من راحة لو تغنى مزماركم وما بقصة حب!!
ليتنى كنت منكم ! ليتنى كنت راعياً لقطيع من قطعانكم !
لأنام وسط الصفصاف تحت الكرمة الرخوة، مع حبيبة قلبى ،
هنا ، يالوكوريس ، ينابيع عذبة ومروج نضرة وأدغال ظليلة ،
هنا كنت أود أن أقضى العمر كله فى صحبتك، ولكنك، أيتها القاسية،
هجرت الوطن وذهبت تتمتعين وحدك بمشاهدة ثلوج الألب وصقيع الرين .

آه ! كم وددت ألا أصدق ذلك !

عسى ألا يؤذيك البرد وعسى ألا تدمى قدميك الرقيقتين قسوة الجليد، سوف أرحل وأغنى على مزمار الراعى الصقلى [1] الأناشيد التى نظمتها،

فأنا أوثر حمل الآلام فى الغابات وسط الوحوش الضارية لأنقش قصائدى الغزلية على قشور الشجر .

فلسوف تنمو الأشجار فتضرب فى الآفاق شهرتى .

والآن ، فلننهض،

هيا بنا إلى الحظيرة ، يا أعنزى ،

هيا لقد أمسى المساء .

* * *

(١) يعنى ثيوكريتوس

المراجع

1 Adert (G). : Théocrite, Genève, 1843.

2 Bevan (Ed.) & Others : The Hellenistic Age, London, 1922.

3 Bignone (E.) : Theocrito, Studio Critico, Bari, 1934.

4 Breccia (Ev.) : Alexandria Ad Aegyptum, London, 1914.

5 Calverley (C.) : The Idylls Of Theocritus, London, 1931.

6 Chambry (E.) : Les Bucoliques Grecs, Paris, 1931.

7 Cholmeley (R.) : The Idylls Of Theocritus, London, 1930.

8 Chopin (I.) : Théocrite, Paris, 1818.

9 Couat (A.) : La Poésie Alexandrine Sous Les Trois Premiers Ptolémées, Paris, 1882.

10 Crump (M.) The Epyllion From Theocritus To Ovid, Oxford, 1931.

11 Egger (M.) : Histoire De La Littérature Grecque, Paris, 1892.

12 Gow (A. S.) : Theocritus, II Vols., Cambridge, 1950.

13 Khafaga (M. S.) : La Naissance D'Héraclès, Les Annales De La Fàculté Des Lettres, Univ. D'Ein Shams, Le Caire, 1953.

14 Kynaston (H.) : The Idylls And The Epigrams Commonly Attributed to Theocritus, London, 1892

15 Lang (A.) : Theocritus, Moschos, Bion, London, 1932.

16 Legrand (Ph. E.) : Bucoliques Grecs, Ed. Budé, Paris,1946.

17 » » : La Poésie Alexandrine, Paris, 1924.

18 Mackail (J.) : Lectures On Greek Literature, London, 1910.

19 Marrou (H.) : Histoire De L'Education Dans L'Antiquité ,Paris, 1948.

20 Martin (V.) : Quatres Figures De La Poésie Grecque, Paris, 1931.

12 Powell (J.U.) . New Chapters In The History Of Greek Literature, London, 1933.

22 Sainte Beuve : Portraits Littéraires, T. III. Paris, 1892.

23 Soutar (G.) : Nature in Greek Poetry, London, 1939.

24 Symonds (J.) : Echoes From Theocritus, London, 1922.

24 Wright (F. A.) : A History of Later Greek Literature, London, 1932.

فهرس

أسمـــاء الأعلام والأماكن

يحتوى هذا الفهرس على أسمـاء الأعلام والأماكن اليونانية واللاتينية مكتوبة بحروف لاتينية ، ولقد حرصنا أن نـكتب هذه الأسماء بالطريقة التى تنطق بها فى اللغة الأصلية ، إلا ما عُرب واشتهر فقد أثبتناه كما شاع لنتجنب كل غموض أو إبهام .

* * *

(أ)

ابوللون	Apollon
ابوللونيوس	Apollonios
اتريس	Atreus
اتنـا	Etna
اتيكا	Attikē
اثينا (الإلاهة)	Athenē, ā
اثينا (المدينة)	Athenai
اثينايوس	Athenaios
اثينيون	Athenaioi
اجاممنون	Agamemnon
أجليّا	Aglaïa
آخرون	Acheron
أخيليس	Achilleus
إدّا	Idē
ادونيس	Adonis
اراتوس	Aratos
اراتوسثنيس	Eratosthenes
ارتميس	Artemis
ارجو	Argo
ارجوس	Argos
ارجونوتيكا	Argonautika

ارخياس	Archias
اركاديا	Arkadia
اروس	Eros
اريثاكس	Erithakis
اريثوسا	Arethousa
اريستارخوس	Aristarchos
اريستوفانيس	Aristophanes
اسبرطة	Sparte
استرابون	Strabon
اسكلپياديس	Asklepiades
اسكندر	Alexandros
اسكندرية	Alexandreia
آسيا	Asia
افروديتا	Aphrodite
افلاطون	Platon
اكيس	Akis
الكايوس	Alkaios
الكسندرا	Alexandra
الكسيس	Alexis
الكمينا	Alkmene
إلياذه	Ilias
إلياس	Ilias
أماروليس	Amarullis
امفتريون	Amphitruon
امونتاس	Amuntas
انپوس	Anapos
انتيوخوس	Antiochos
اوجيئاس	Augeias
اودوسيوس	Odusseus
اوديسا	Odusseia
اوڤيد	Ovidius
اولومپوس	Olumpos
ايجوس پوتاموس	Aigospotamos
ايسخولوس	Aischulos
ايليثويا	Eileithuia
إيون	Ion

(ب)

پاتروكلوس	Patroklos
پاريس	Paris
پان	Pan
پراكساجوراس	Praxagoras

پرجاموس	Pergamos
پرديكاس	Perdikkas
پرسيفونا	Persephonē
پروپنتس	Propontis
پرياپوس	Priapos
پرياموس	Priamos
پريكليس	Perikles
بطالمة	Ptolemaioi
بطليموس	Ptolemaios
برينيكا	Berenika
بلاد العرب	Arabia
پلاوتس	Plautus
پنداروس	Pindaros
پندس	Pindus
بوكايوس	Boukaios
بومبوكا	Bombuka
بويوشيا	Boiotia
پولوفيموس	Poluphemos
پيسديكا	Peisidike
بيون	Bion

(ت)

تاموز	Thammuz
تراقيا	Thrake
ترنتيس	Trentius
تزتزيس	Tzetzes
تلامون	Telamon
تيتوروس	Tituros

(ث)

ثاليا	Thaleia
ثساليا	Thessalia
ثستوليس	Thestulis
ثورسيس	Thursis
ثوكوديديس	Thukudides
ثيوجنس	Theognis
ثيوكاريداس	Theokaridas
ثيوكريتوس	Theokritos

(ج)

جالاتيا	Galateia
جاللس	Gallus
جيورجيكا	Georgika

(خ)

خايرونيا	Chaironeia
خيوس	Chios

(د)

دافنس	Daphnis
داموبتاس	Damoitas
دلفيس	Delphis
دوريس	Doris
ديديموس	Didemos
ديلوس	Delos
ديموسثنيس	Demosthenes
ديميتر	Demeter
ديميتريوس	Demetrios
ديوميديس	Diomedes
ديونوسوس	Dionusos

(ر)

رادامانثس	Rhadamanthus
رِنثون	Rhinthon
رودوس	Rhodos
رومان	Romani
ريانوس	Rhianos

(ز)

زنودوتوس	Zenodotos
زيوس	Zeus

(س)

ساتوروى	Saturoi
سافو	Sapho
سكوپاس	Skopas
سلڤانس	Silvanus
سميثا	Simaitha
سوتاديس	Sotades
سوريا	Suria
سوفوكليس	Sophokles
سيبورتاس	Siburtas
سيراكوز	Surakousai
سيمونيديس	Simonides

(ش)

شيشرون	Cicero

(ص)

صقلية	Sikelia

(ط)

طروادة	Troia

(ف)

فراسيداموس	Phrasidamos
فرجيل	Virgilius
فرس	Persai
فيلادلفوس	Philadelphos
فيليب	Philippos
فيليتاس	Philetas
فيلينا	Philene
فيليس	Phileus

(ك)

كاتللس	Catullus
كارانوس	Karanos
كاريون (أهل كاريا)	Karēs
كالپورنيس	Calpurnius
كاليماخوس	Kallimachos
كتسيفون	Ktesiphon
كرانون	Kranon
كريت	Krētē
كريون	Kreon
كسينوكليس	Xenokles
كلاريستا	Kleirista
كليتارخوس	Kleitarchos
كودروس	Kodros
كورودون	Korudon
كوس	Kos
كوكلاديس	Kuklades
كوكلوپس	Kuklops
كوكلوپيس	Kuklopes
كوماتاس	Komatas
كونيسكا	Kuniska

(ل)

لاأرتيوس	Laërtios
لاكون	Lakon
لپارا	Lipara
لوكوپاس	Lukopas
لوكوريس	Lukoris
لوكوفرون	Lukophron
لوكيداس	Lukidas
ليبيا	Lubia
لدّا	Leda
ليونيداس	Leonidas

(م)

مالس	Malis
مانتوا	Mantua
مقدونيا	Makedonia
منالكاس	Menalkas
مناندروس	Menandros
منيلاوس	Menelaos
مورسون	Morson
موسخوس	Moschos
ميديا	Medeia
ميلون	Milon
ميليتوس	Miletos
مينوس	Minos

(ن)

نكياس	Nikias
ناليس	Neleus
نميسيانس	Nemesianus
نيميا	Nemea
نوخيا	Nucheia
نيل (نهر النيل)	Neilos

(هـ)

هاديس	Hades
هرميس	Hermes
هلينا	Helenē
هوراس	Horatius
هولاس	Hulas
هوميروس	Homeros
هيپوناكس	Hipponax
هيرا	Hera
هيراكليس	Herakles
هيرودوت	Herodotos
هيرون	Hieron
هيرونداس	Herondas
هيسيود	Hesiodos
هيفايستوس	Hephaestos
هيليسپونتوس	Hellespontos

(ي)

ياسون	Iason
يوروپا	Europe
يوريپيديس	Euripides
يوفروسونا	Euphrosune
يومايوس	Eumaios
يونان	Hellenes
يونيكا	Enneika
يوهيميروس	Euhemeros

محتويات الـكتاب

صفحة

الفصل الرابع

ثيوكريتوس ومقلدوه

الفصل الخامس

نماذج من الشعر

صفحة

تصويبات

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣	٩	نفدت	نفذت
١٣	٧	الأيوبية	الأيونية
٤٥	٧	إما	ما
٦٠	٧	منادروس	مناندروس
٦٤	هامش	Paststoral	Pastoral
١١١	٥	أفروورديتا	أفروديتا



Bibliotheca Alexandrina
0433263